قصة صاحب الجنتين



فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار الإيمان

إسكندرية

قصة

صاحب الجنتين

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

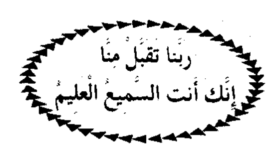
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين






بسم الله الرحمن الرحيم







دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦





مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا



عظيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعـــد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قصة صاحب الجنتين هي القصة الثانية في سورة الكهف بعد قصة أصحاب الكهف وهم الفتية الذين آمنوا بربهم، ويعقبها قصة آدم وإبليس ثم قصة موسى والخضر، وتأتي قصة ذي القرنين في نهاية السورة.

وقصة صاحب الجنتين تدور حول تصحيح العقيدة، ففيها يقول المؤمن لصاحبه وهو يحاوره: ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف: ٣٧-٣٨).

ويأتي في التعقيب عليها قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (سورة الكهف: ٤٣-٤٤)، وهي قصة



حدثت وتتكرر بين حين وآخر، هنا وهناك، على مستوى الفرد والدولة والجماعة، تصور حالة من حالات الغرور والطغيان تحدث عند البعض نتيجة تملك عرض من أعراض الدنيا الفانية، مال أو جاه أو سلطان، مما يجعله ينسى نفسه، وأن المرجع والمآب إلى الله وقد تدفعه هذه الحالة إلى التطاول على المؤمنين وتنقصهم واتهامهم بأنهم لم يحسنوا التعامل مع الدنيا، ولم يفهموها على حقيقتها!!!.

وفي مواجهة هذا الصلف، يعتز المؤمن بإيمانه، فلا ينخدع بظل زائل وزخارف ونقوش سرعان ما تنتهي، لقد وقف المؤمن على أرض صلبة، وعلم من خلقه ولماذا خلقه وإلى أين المصير؟ ولذلك فهو يواجه صاحبه المبطل الذي أعمته الدنيا عن الدين ويقول له: ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠)

أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ (سورة الكهف: ٣٧-٤١).

إن النعمة تستوجب الشكر لا الجحود والكفر، ومن جهل ذلك اليوم فغدًا لا محالة سينجلي وينكشف له الأمر، والخوف كله من أن يضرب الإنسان كف نادم بعد فوات الأوان. فحياتنا قصيرة قصيرة، والكون الذي نعيش فيه محكم ومنظم، يسير وفق أمر الله وقدرته سبحانه.

وعقب القصة يضرب مثلاً للحياة الدنيا وسرعة زوالها: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (سورة الكهف: ٤٥).

وتأتي هذه المقابلة بين القيم الزائلة والقيم الباقية: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ (سورة الكهف: ٤٦).

إن القصة تعرض سنة من سنن الله الماضية في خلقه، وهي سنة التدافع، بين الإيمان والكفر والحق والباطل، وفي ثنايا ذلك تأتي المشاهد المتقابلة، مشهد النماء والإزدهار



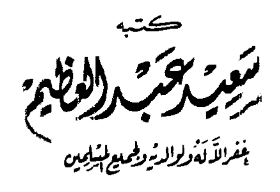
المتمثل في الجنتين، إلى مشهد الدمار والبوار، ومشهد البطر والاستكبار المتمثل في صاحب الجنتين المشرك إلى مشهد الندم بعد فوات الأوان ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴾ (سورة الكهف: ٤٢).

إن سورة الكهف هي إحدى السور المكية، أي أنها نزلت قبل الهجرة، وهي تحمل خصائص وطابع القرآن المكي من حيث التركيز على العقيدة.. وتثبيت قلب رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم في مواجهتهم لصلف وغرور المشركين، ولذلك فقصة صاحب الجنتين تؤدي هذا الغرض على أكمل وجه، فإن كان الكفار قد افتخروا بأموالهم وأشياعهم على فقراء المسلمين، فهذا من الجهل بمكان وهو لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنيًا والغني فقيرًا، وما الفخر الحقيقي إلا لأهل الإيمان الذين يعلمون الحق ويرحمون الخلق ، وبهم قام الإسلام وبه قاموا، أبصروا في ضوء الكتاب والسنة الغاية

التي من أجلها خُلقوا، فنفضوا أيديهم من الوهم والسراب، وتعلقوا بخالق الأرض والسماوات، وارتحلوا إلى ربهم متزودين بالصالحات وتشابهوا في ذلك بمن تقدمهم بإحسان، وذكره سبحانه عظة وعبرة لأولي الألباب.

فاللهم ارزقنا توبة صادقة قبل الممات، وأقلنا من العثرات والزلات، وأسبغ علينا من الرحمات والبركات ما يكون لنا هاديًا وسبيلاً إلى الجنات، فأنت ملاذنا وأنت ولينا يا خالق الأرض والسموات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





★ قصة صاحب الجنتين في القرآن:

وردت هذه القصة في سورة الكهف كحكاية عما جرى بينهما في الدنيا، ثم ذُكرت عاقبة كلٍ منهما في الآخرة وذلك في سورة الصافات.

قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ

(*) حسباناً: جمع حسبانة وهي الصاعقة.

مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

(سورة الكهف: ٣٢-٤٤)

وهذه القصة لرجلين كانا شريكين في بني إسرائيل، وقد ذكروا أنها تدخل ضمن عموم هذه الآية: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (سورة الصافات: ٥٠-٦١).

(*) **القرين**: تطلق على شيطان الإنس والجن يتعاونان وكل منهما يوسوس. **سواء الجحيم**: وسط الجحيم. **لتردين**: لتهلكني. **المحضرين**: أي في العذاب.

★ القصة كما وردت في كتب التفسير:

خلاصة ما ورد أن صاحبين أو أخوين من بني إسرائيل أو من هذه الأمة كان أحدهما مؤمنًا والآخر كافرًا، فأنفق المؤمن ماله في طاعة الله، بينما حرص الكافر على تثمير وتنمية ماله، وقد جرت بينهما هذه المحاورة التي قصها الله علينا في كتابه.

قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ (سورة الكهف: ٣٢) هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المؤمنين، وهو متصل بقوله: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ (سورة الكهف: ٢٨) واختلف في اسم هذين الرجلين وتعيينهما، فقال الكلبي: نزلت في أخوين من أهل مكة مخزوميين، أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ، والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد، وهما الأخوان المذكوران في سورة الصافات في قوله: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ (سورة الصافات: ٥١) ورث كل

واحد منهما أربعة آلاف دينار، فأنفق أحدهما ماله في سبيل الله وطلب من أخيه شيئًا فقال ما قال، ذكره الثعلبي والقشيري، وقيل: نزلت في النبي ﷺ وأهل مكة. وقيل: هو مثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر، وقيل: هو مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وصهيب وأصحابه، شبههم الله بالرجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا، في قول ابن عباس رضي الله عنهما. وقال مقاتل: اسمه تمليخا. والآخر كافر واسمه قرطوش. وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات. وكذا ذكر محمد بن الحسن المقرئ قال: اسم الخير منهما تمليخا، والآخر قرطوش، وأنهما كانا شريكين ثم اقتسما المال فصار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، فاشترى المؤمن منهما عبيدًا بألف وأعتقهم، وبالألف الثانية ثيابًا فكسا العُراة وبالألف الثالثة طعامًا فأطعم الجوع، وبنى أيضًا مساجد، وفعل خيرًا، وأما الآخر فنكح بماله نساء ذوات يسار، واشترى دواب وبقرًا فاستنتجها فنمت له نماء

مفرطًا، وأتجر بباقيها فربح حتى فاق أهل زمانه غني، وأدركت الأول الحاجة، فأراد أن يستخدم نفسه في جنة يخدمها فقال: لو ذهبت لشريكي وصاحبي فسألته أن يستخدمني في بعض جناته رجوت أن يكون ذلك أصلح بي، فجاءه فلم يكد يصل إليه من غلظ الحجاب، فلما دخل عليه وعرفه وسأله حاجته قال له: ألم أكن قاسمتك المال نصفين! فما صنعت بمالك؟ قال: اشتريت به من الله تعالى ما هو خير منه وأبقى فقال: أئنك لمن المصدقين، ما أظن الساعة قائمة! وما أراك إلا سفيهًا، وما جزاؤك عندي على سفاهتك إلا الحرمان، أو ما ترى ما صنعت أنا بمالي حتى آل إلى ما تراه من الثروة وحسن الحال، وذلك أني كسبت وسفهت أنت، اخرج عني. ثم كان من قصة هذا الغني ما ذكره الله تعالى في القرآن من الإحاطة بثمره وذهابها أصلاً بما أرسل عليها من السماء من الحسبان. وقد ذكر الثعلبي هذه القصة بلفظ آخر، والمعنى متقارب. قال عطاء: كانا شريكين لهما ثمانية آلاف دينار. وقيل: ورثاه

من أبيهما وكانا أخوين فاقتسماها، فأشترى أحدهما أرضًا بألف دينار، فقال: صاحبه: اللهم إن فلانًا قد اشترى أرضًا بألف دينار وإني اشتريت منك أرضًا في الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم إن صاحبه بنى دارًا بألف دينار فقال: اللهم إن فلانًا بنى دارًا بألف دينار وإني أشتري منك دارًا في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم تزوج امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال: اللهم إن فلانًا تزوج امرأة بألف دنيار وإني أخطب إليك من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار. ثم اشترى خدمًا ومتاعًا بألف دينار، وإني أشتري منك خدمًا ومتاعًا من الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار. ثم أصابته حاجة شديدة فقال: لعل صاحبي ينالُني معروفه فأتاه فقال: ما فعل مالُك؟ فأخبره قصته فقال: وإنك لمن المصدقين بهذا الحديث! والله لا أعطيك شيئًا! ثم قال له: أنت تعبد إله السماء، وأنا لا أعبد إلا صنمًا، فقال صاحبه: والله لأعظنه، فوعظه وذكره وخوفه. فقال: سر بنا نصطد السمك، فمن صاد أكثر فهو على

حق، فقال له: يا أخي! إن الدنيا أحقر عند الله من أن يجعلها ثوابًا لمحسن أو عقابًا لكافر. قال: فأكرهه على الخروج معه، فابتلاهما الله، فجعل الكافر يرمي شبكته ويسمي باسم صنمه، فتطلع متدفقة سمكًا. وجعل المؤمن يرمي شبكته ويسمي باسم الله فلا يطلع له فيها شيء، فقال له: كيف ترى! أنا أكثر منك في الدنيا نصيبًا ومنزلةً ونفرًا، كذلك أكون أفضل منك في الآخرة إن كان ما تقول بزعمك حقًا، قال: فضج الملك الموكل بهما، فأمر الله تعالى جبريل أن يأخذه فيذهب به إلى الجنان فيريه منازل المؤمن فيها، فلما رأى ما أعد الله له قال: وعزتك لا يضره ما ناله من الدنيا بعد ما يكون مصيره إلى هذا، وأراه منازل الكافر في جهنم، فقال: وعزتك لا ينفعه ما أصابه من الدنيا بعد أن يكون مصيره إلى هذا، ثم إن الله تعالى توفى المؤمن وأهلك الكافر بعذاب من عنده، فلما استقر المؤمن في الجنة ورأى ما أعد الله له أقبل هو وأصحابه يتساءلون، فقال: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ الآية،

فنادى مناد: يا أهل الجنة هل أنتم مطلعون فاطلع إلى جهنم فرآه في سواء الجحيم، فنزلت: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً ﴾ (سورة الكهف: ٣٢).

بيَّن الله تعالى حال الأخوين في الدنيا في هذه السورة، وبين حالهما في الآخرة في سورة «الصافات» في قوله: ﴿ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (سورة الصافات: ٥٢-٦٢).

قال ابن عطية: وذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد أن بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين، وكانتا لأخوين فباع أحدهما نصيبه من الآخر فأنفق في طاعة الله حتى عيره الآخر، وجرت بينهما المحاورة فغرقها الله تعالى في ليلة، وإياها عني بهذه الآية. وقد قيل: إن هذا مثل ضربه الله تعالى لهذا الأمة، وليس بخبر عن حال متقدمة، لتزهد في الدنيا وترغب في الآخرة، وجعله زجرًا وإنذارًا، ذكره الماوردي. وسياق الآية يدل على خلاف هذا، والله أعلم.

★ قصة صاحب الجنتين مثل مضروب لحال الكافرين والمؤمنين:

قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ (سورة الكهف: ٣٢) أي: مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين كانا أخوين في بني إسرائيل فهذا مثل من أمثال القرآن، وقد ذكر الله في كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الحشر: ٢١)، ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٣)، ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الزمر: ٢٧).

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أنزل القرآن آمراً وزاجراً، وسنة خالية ومثلاً مضروباً»[1].

ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ

---

(١) رواه الترمذي.

آسنٍ﴾ (سورة محمد: ١٥) أي قصتها التي يتعجب منها.

والمثل في القرآن عبارة عن إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس سواء كانت تشبيهًا أو قولاً مرسلاً.

قال ابن القيم في أمثال القرآن: «تشبيه شيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر...» اهـ.

■ **والأمثال في القرآن ثلاثة أنواع:**

١ ـ الأمثال المصرحة.

٢ ـ الأمثال الكامنة.

٣ ـ الأمثال المرسلة.

١ ـ الأمثال المصرحة:

هي ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه كقوله تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ**

بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة البقرة: ١٧-٢٠).

٢ـ الأمثال الكامنة:

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز مثل: ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (سورة الإسراء: ٢٩)، وقوله: ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾ (سورة الإسراء: ١١٠).

٣ـ الأمثال المرسلة:

وهي جُمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه فهي آيات جارية مجرى الأمثال مثل: ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ (سورة يوسف: ٥١)، ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ

كَاشِفَةٌ ﴾ (سورة النجم:٥٨)، ﴿ لِّكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنعام:٦٧)، ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (سورة هود:٨١)، ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ (سورة فاطر:٤٣)، ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (سورة المؤمنون:٥٣). والحرج الكبير هنا في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح.

وكما عنى العلماء بأمثال القرآن فإنهم عنوا كذلك بالأمثال النبوية، وعقد لها الترمذي بابًا في جامعه أورد فيه أربعين حديثًا.

ومن العلماء من أفرد الأمثال في القرآن بالتأليف كالماوردي، ومنهم من عقد لها بابًا في كتاب من كتبه كالسيوطي في (الإتقان)، وابن القيم في (أعلام الموقعين)، وقد بلغ بها بضعة وأربعين مثلاً.

والأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس كمثل المنفق رياء حيث لا ينتفع بصدقته ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ (سورة البقرة:٢٦٤).

وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٥).

ويضرب المثل للترغيب في الممثل كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٦١).

ويضرب المثل للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس كقوله تعالى في النهي عن الغيبة: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

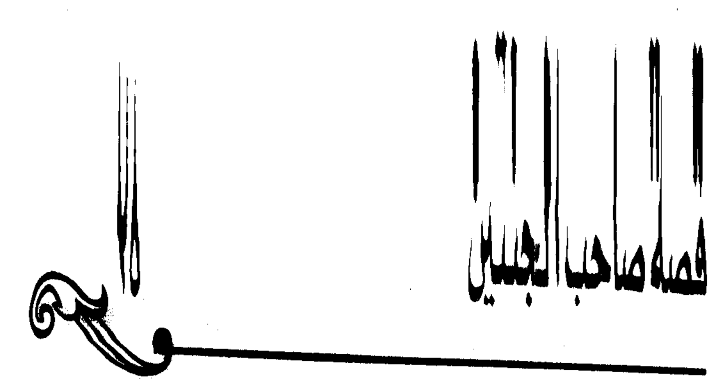
ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (سورة الفتح: ٢٩).

والأمثال أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوى في

الزجر وأقوم في الإقناع، ولذلك أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة، وضربها النبي ﷺ في حديثه، واستعان بها الداعون إلى الله في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة. فاستخدم أمثال القرآن والسنة، ومن جملتها المثل المضروب في قصة صاحب الجنتين لتبسيط المعاني، وإزالة الشبهات، وتشويق النفوس للعمل بطاعة الله وتنفيرها من كل ما يغضب الله تعالى.

★ القصة صورة للتواصل العجيب بين الدنيا والآخرة:

الدنيا والآخرة حسبة واحدة وطريق واحد، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، وقد ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، وما من يوم يمر علينا إلا ويقربنا من لقاء الله، فما أنت إلا أيام مجموعة، وإذا مضى يوم مضى بعضك، ولذا قالوا: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، وعمره يقوده إلى أجله وحياته تقوده إلى موته ﴿كُلُّ



﴿نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٥)، وأنت من التراب وإلى التراب تعود، أنت اليوم حي وغدًا ميت، فاستقم كما أمرت فما هي إلا لحظات معدودات، وتنتهي فترة الاختبار والامتحان، ويلقى كل منا ربه، حيث يُجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، والأمر إما جنة وإما نار.

قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (سورة المؤمنون: ١١٢-١١٥).

وقصة صاحب الجنتين تحكي لنا صورة من صور التواصل السريع والعجيب بين الدنيا والآخرة، فقد انتقلت بنا من حكاية ما حدث بين الرجلين هنا لتصور لنا نهاية كلٍ منهما هناك وكأن قد، فالأحداث متلاحقة، والدنيا سريعة الزوال والانتهاء، والسعيد من وُعظ بغيره، وشبيه بهذا

التواصل السريع ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (سورة المؤمنون:١٢-١٤)، ثم يأتي بعد ذكر مراحل نمو الجنين في بطن أمه، قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾

(سورة المؤمنون:١٥).

وكذلك ما ورد في قصة صاحب يس، فقد أتى من أقصى المدينة يسعى قال: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ (سورة يس: ٢٠-٢٥)، فلما أخذوه وقتلوه نصحهم ميتًا كما نصحهم حيًا قال: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾

(سورة يس:٢٦-٢٧).

وهكذا تواصلت الحيـاتان سريعًـا، وهذا هو الشأن في قصة فرعـون، فقد أغرقه سبـحانه في اليم وقال: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ (سورة يونس: ٩٢)، ولم تكن هذه نهاية أمره فـقد أوضحت الآيات ما يعـانيه الآن، قال تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (سورة غافر: ٤٦).

وكثـيرًا ما يأتـي خبر السـاعة بصيـغة الماضي لتـحقق وقوعه وقرب ذلك قال تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (سورة النحل: ١)، وقال: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (سورة القمر: ١)، وقال: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ١).

وفي قصة صاحب الجنتين، وكـأن الرجلين سرعان ما قُبضا وماتا وانتقلا إلى الله تعـالى وكما اختلف حالهما في الدنيا، فكذلك لم يتساويا في الآخرة ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (سورة الشورى: ٧).

فعلى المسلم أن لا ينافس في عـز الدنيا ولا يجزع من

ذلها فله شأن وللناس شأن وعليه أن يتحقق سرعة الرحيل، فلا داعي لطول الأمل ولا لليأس والقنوط من رحمة الله، وإلا فما هي إلا لحظات معدودات، ولو غُمس في الجنة غمسة واحدة لنسى معها بؤس الدنيا وشقاءها.

⋆ زيارة أهل الجنة بعضهم بعضًا وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا:

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (سورة الصافات:٢٧) أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يعانون في مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين أيديهم يجيئون بكل خير عظيم من مأكل وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال ابن القيم: إن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه يقول: أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى

بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا ترابًا وعظامًا ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه.

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران (**أحدهما**) أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضًا: هل أنتم مطلعون رواه عطاء عن ابن عباس، (**والثاني**) أنه من قول الله عزَّ وجلَّ لأهل الجنة يقول لهم: هل أنتم مطلعون والصحيح القول الأول وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه قال كعب: «بين الجنة والنار كوي فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوي» (وقوله) فاطلع أي أشرف قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة: هل أنتم مطلعون قالوا له: أنت أعرف به منا فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه في سواء الجحيم ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير فعندها قال: تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة



ربي لكنت من المحضرين أي إن كدت لتهلكني ولولا أن أنعم الله علي بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الطور: ٢٥-٢٨). وقال الطبراني حدثنا الحسن بن إسحاق حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة قال سئل رسول الله ﷺ: **أيتزاور أهل الجنة؟، قال: «يزور الأعلى الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى، إلا اللذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاؤا على النوق محتقبين الحشايا»**[1].

وقال الدورقي حدثنا أبو سلمة التبوذكي حدثنا سلمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: «بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى» وقد تقدم

---

[1] أي جعلوا وراءهم الفرش، والحشايا القرش واحدها حشية. إسناده ضعيف فيه بشر بن نمير متروك متهم.

حديث علقمة بن مـرثد عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسـار عن أبي هريرة. وقـال الطبراني حـدثنا مـحمـد بن عبـدوس حدثنا الحسن بن حـماد حدثنـا جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب يرفعه: «**إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب**»[١]، وقد تقدم، فأهل الجنة يتزاورون فـيها ويسـتزير بعـضهم بعضًـا وبذلك تتم لذتهم وسرورهم ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله: «**كيف أصبـحـت يا حـارثة؟**»، **قـال: أصبـحـت مـؤمنًا حـقـًا، قـال:** «**إن لكل حق حقيقـة فما حقيقـة إيمانك؟**»، **قال عزفت**[٢] **نفسي عن الدنيا فـأسهـرت ليلي، وأظمـأت نهاري، وكـأني أنظر إلى عـرش ربي بـارزًا، وإلى أهل الجـنة يتـزاورون فـيـهـا، وإلى أهل الـنار يعـذبون فـيـهـا، فقـال:** «**عبد نور الله قلبه**»[٣].

وقال ابن أبي الدنـيا حدثنا عـبد الله حدثنـا سلمة بن

---

(١) إسناده ضعيف لضعف واصل بن السائب وجابر بن نوح وأبي سورة.
(٢) عزفت نفسي عن الدنيا: أي كرهتها وعافتها.
(٣) حديث ضعيف: قال الهيثمي في مجمع الزراذد: فيه يوسف لن عطيه لا بحتج به، وقال بن حجر في «الإصابة»: قال البيهقي هذا منكر.

شيب حدثنا سعيد بن دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : **«إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض، قال فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعًا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا»**[1] . قال وحدثني حمزة بن العباس أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفى بن مانع أن رسول الله ﷺ قال : **«إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عزَّ وجلَّ، فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم، ثم**

(١) وإذا تذاكروا وما كان بينهم فتذاكروا فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة ألذ من الطعام والشراب والجماع فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذة وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميزون بها على من عداهم.

يبعث الله ريحاً غير مؤذية فتنسف كثائب من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقهم وفي رؤوسهم، ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما علمت أن الله قال: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة السجدة: ١٧)، فيقول: بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة»، حدثني حمزة أنبأني عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال حدثني ابن أنعم أنا أبا هريرة قال: «إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون[1] عليها رحال الميس[2] تثير

---

(١) هي الإبل البيض مع سواد يسير، واحدها أعيس وعيساء.
(٢) الميس: شجر تعمل منه أكوار الإبل ورحالها.

مناسمها[1] غبار المسك، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها»، وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ**﴾ (سورة الزمر:٦٨). قال: «**هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه، فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت، أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب، أعناقها السندس والاستبرق، ونمارقها ألين من الحرير، مد خطاها مد أبصار الرجال، يسيرون في الجنة على خيول يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي الله بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه**».

قال ابن أبي الدنيا و-حدثنا الفضل ابن جعفر ابن حسن حدثنا أبي عن الحسن بن علي عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن في الجنة لشجرة يخرج من**

---

(١) أي أخفاها.

أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت، لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد بصرها، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا، فيقول الذين أسفل منهم درجة: يا رب بم بلغ عبادك هذه الكرامة؟ قال: فيقال لهم: كانوا يصلون في الليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون».

قال: ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه[1].

★ المؤمن في الجنة يطلع على الكافر فيزداد شكراً:

الجنة عالية والنار هاوية، والجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون، وأهلها ينادي عليهم إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا،

---

(١) «حادي الأرواح» (ص: ٢٤٤-٢٤٧) طبعة دار الحديث.



وأن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تنعموا فلا تيأسوا أبدًا.

قال تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (سورة يونس: ٦٢-٦٤).

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، ويكون طعامهم ذلك جشاءً ورشحًا كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس**»[1]، فلا حزن ولا تكدير، بل نعيم مقيم.

وقوله تعالى: ﴿ **فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ** ﴾ (سورة الصافات: ٥٥). لا تعارض بينه وبين ما ورد في نصوص الكتاب والسنة إذ أنها خرجت من مشكاة واحدة، وقد ذكر العلماء: أن المؤمن اطلع في الكوي الموجودة بين الجنة والنار فرأى صاحبه الكافر وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد فعرفه ورأى جماجم القوم تغلي؛ فازداد شكرًا لله تعالى

---

[1] رواه مسلم.

وهذا من تمام وكمال نعيم أهل الجنة.

★ المؤمن لا يتذكر في الجنة أشد عليه من الموت في الدنيا:

يتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر أشد عليه من الموت وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سورة الصافات: ٥٩).

وقد وردت النصوص تفيد ذبح الموت بين الجنة والنار.

▪ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت ثم قرأ رسول الله ﷺ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة مريم: ٣٩)»[١].

---

(١) الحديث متفق عليه.

▪ وفي الصحيحين أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه»**.

▪ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار أتي بالموت حتى يجعل بين النار والجنة، ثم ينادى: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت؛ فيزداد أهل الجنة فرحًا، ويزداد أهل النار حزنًا إلى جهنم»**.

▪ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ أتي بالموت ملبيًا، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذي وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحًا على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت»**[١].

---

(١) رواه النسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وهذا الكبش والاضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحًا وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح؛ فإن الله سبحانه وتعالى ينشيء من الموت صورة كبش يذبح كما ينشىء من الأعمال صورًا معاينة يثاب بها ويعاقب، والله تعالى ينشيء من الأعراض أجسامًا تكون الأعراض مادة لها، وينشيء من الأجسام أعراضًا، كما ينشيء سبحانه وتعالى من الأعراض أعراضًا، ومن الأجسام أجسامًا فالأقسام الأربعة ممكنة مقدروة للرب تعالى ولا يستلزم جمعًا بين النقيضين ولا شيئًا من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم

يذبح ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجسامًا ويجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه ﷺ : «**تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان**» الحديث، فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه وتعالى غمامتين وكذلك قوله في الحديث الآخر: «**إن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن صاحبهن**» (ذكره أحمد)، وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: «فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، وأنا عملك السيء»، وهذا حقيقة لا خيال ولكن الله سبحانه وتعالى أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه وتعالى لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل، وقال سعيد عن قتادة بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا خرج من قبره صُور له عمله في صورة حسنة وبشارة**

حسنة، فيقول له: من أنت فوالله إني لأراك امرءَ الصدق، فيقول له: أنا عملك، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة، أما الكافر إذا خرج من قبره صُور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة، فيقول: ما أنت فوالله إني لأراك امرءَ السوء، فيقول له: أنا عملك، فينطلق به حتى يدخله النار»، وقال مجاهد مثل ذلك، وقال ابن جريج: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له: من أنت فيقول: أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله: ﴿**يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**﴾ (سورة يونس:٩)، والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح نتنة فيلازم صاحبه وينطلق به حتى يقذفه في النار، وقال ابن المبارك ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية: ﴿**أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾ (سورة الصافات:٥٨-٥٩)، قال: اعلموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا: أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن معذبين قيل: لا، قالوا: إن هذا لهو الفوز العظيم. وكان

يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام، فهنا هم في جوار الله طول المقام، ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته.

★ كل قرين يقتدي إلا من رحم الله:

الحمام مع الحمام، والحيات مع الحيات، والثعالب مع الثعالب، والطيور على أشكالها تقع، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (سورة الفرقان: ٢٧-٢٩).

وقد نزلت بشأن عقبة بن أبي معيط - أشقى القوم - وكان رغم كفره يحسن التعامل مع رسول الله ﷺ، فلما أتى صاحبه من الشام، ودفعه لإيذاء النبي ﷺ، فقام عقبة ووضع سلا الجزور على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد أمام الكعبة تارة، وخنقه بطرف ردائه تارة أخرى ففيه نزلت هذه الآيات، توضح أنه يعض على يديه، وليس فقط أطراف أصابعه وهذا ندم لا ينفع إذ أنه بعد فوات الأوان.

وقد ورد في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء: كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا منتنة**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[2] أي: من تصادق؛ فاحرص على أن لا تصاحب إلا مؤمنًا، وأن لا يأكل طعامك إلا تقي.

وقد كان صاحب الجنتين قرينًا للمؤمن، قيل كان أخاه أو صاحبه، قد بلغ من خطورة صاحب الجنتين الكافر أن حاول إضلال أخيه وتشكيكه، قال المؤمن: ﴿**إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

الْجَحِيمِ﴾ (سورة الصافات:٥١-٥٥). ومعنى أئنك لمن المصدقين أي بالبعث والنشور والحساب والجزاء، وقال ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد والكفر والعناد، يدل عليه ما ورد في سورة الكهف ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ (سورة الكهف:٣٥-٣٦).

لقد كان منكرًا للبعث، ولذلك قال: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (سورة الصافات:٥٣) أي: كيف نُجازى ونُحاسب وقد صرنا ترابًا وعظامًا بعد موتنا، وهو شبيه بمن قال الله فيه: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة يس:٧٩)، إن صحبة أمثال هؤلاء شر عظيم، ولذلك ينبغي التباعد عنهم، فإن لم تجد بدًا ولا سعة فليكن اقترابك منهم اقتراب الناصح الأمين، وإلا فملازمة الحيات والعقارب أهون من الاختلاط بأمثال هؤلاء الذين يميتون القلوب ويخربون العقول، ولذلك استشعر المؤمن رحمة ربه ونعمته عليه فقال لقرينه الكافر إن كدت لتردين

أي تهلكني ﴿ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (سورة الصافات:٥٧) أي معك في العذاب، فهو سبحانه الذي أرشدني إلى توحيده وهداني للإيمان، فلم ينسب الفضل لنفسه، ولم يصنع كما صنع قارون عندما قال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ (سورة القصص:٧٨). وإنما سلك مسالك المؤمنين الذين يقولون: ﴿ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ (سورة القصص:٨٣). ويقولون: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (سورة الأعراف:٤٣).

فالخير كله بيديه سبحانه وما بكم من نعمة فمن الله وأعظم هذه النعم التوفيق للإيمان، وأن يُختم للعبد بإحسان.

★ انحراف صاحب الجنتين وغيره يساوي لذة ساعة وألم دهر:

شقى صاحب الجنتين بجمع المال وحفظه واستثماره، وضرب كف نادم بعد فوات الأوان تخربت البساتين ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (سورة

الكهف: ٤٢) وهذا في الدنيا، ثم ولعذاب الآخرة أشد، فقد مات صاحب الجنتين، وارتحل عن ماله وأهله وولده، وترك الدنيا بأسرها، ليواجه عذابًا مقيمًا، خالدًا فيه أبدًا، قال تعالى: ﴿ **فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ** ﴾ (سورة الصافات: ٥٥-٥٧).

واهمٌ من يظن أن السعادة تكمن في تكديس المال وجمع الثروات والبساتين وكثرة الأولاد وبناء العقارات والقصور، وإن حدث فهي لذة ساعة وألم دهر قال تعالى: ﴿ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ (سورة التوبة: ٥٥).

قال بعض السلف: يعذبون بجمعها، وتزهق أنفسهم بحبها، وهم كافرون بمنع حق الله فيها.

وكان ابن مسعود ﷺ يقول: «ما أصبح أحد في الدنيا إلا وهو ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤداة».

وقد قصَّ علينا جلَّ وعلا قصة قارون فقال سبحانه:

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ (سورة القصص:٧٩). وانبهر به الناس فقالوا: ﴿ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (سورة القصص:٧٩). ولم يكن الأمر كذلك، فقد كان كافرًا بالله تعالى قال: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (سورة القصص:٨١).

إن الدنيا يعطيها ربنا لمن يحب ومن لا يحب، أما الآخرة فلا يعطيها إلا لمن أحب ولذلك قال الذين أوتوا العلم والإيمان، لمن انبهر بالزينات والنقوش: ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾

(سورة القصص: ٨٠).

وختمت القصة بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(سورة القصص:٨٣).

فالسعادة الحقيقية ليست في المال أو الجاه أو كثرة الأولاد، وإنما هي في طاعة الله تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ (سورة طه: ١٢٣-١٢٧) فلابد من إسلام الوجه لله، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، يومئذ يَصَّدَّعون من كفر فعليه كفره، ومن آمن وعمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون، يوم عناه سبحانه بقوله: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (سورة الشعراء: ٨٨-٨٩).

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (سورة عبس: ٣٤-٣٧)، ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (سورة الحج: ٢). ويقال لمن أعمته الدنيا عن الدين، وتكثر بماله وجاهه وولده على سبيل التعبير: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (سورة الأحقاف: ٢٠).

إن الأمان غدًا لمن باع قليلاً بكثير، ونافذًا بباق؛ كما قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فأحسنوا المسير إلى ربكم.

﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (سورة فاطر: ٥) واطلبوا السعادة من مظانها، واعلموا أن الاستقامة هي أعظم كرامة، وأن هذا هو الطريق الموصل لسعادة الدنيا والآخرة.

★ وجه الشبه كبير بين المادية الغربية المعاصرة وصاحب الجنتين فكيف نتابعهم؟!:

المال هو مال الله، والكون كله ملك لله جلَّ وعلا، والواجب علينا أن نحسن وننفق مما جعلنا مستخلفين فيه، وأن نؤدي شكر هذه النعم، ولكن البعض بدلاً من ذلك، يصيبه البطر والكبر والغرور، وهذا شأن صاحب الجنتين، الذي كفر بربه وقال لأخيه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾

(سورة الكهف: ٣٤-٣٦)، وشبيه به هذه المادة الغربية المعاصرة، التي رأت أن التقدم والتحضر والتطور يستلزم التفلت من قيود الدين، فركبت موجة الإباحية والانسلاخ من معاني الإيمان، وقالت: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، صيرت الإنسان عبدًا للدرهم والدينار، أو عبدًا لشهوة البطن والفرج، وأصابت بلوثتها هذه الأمة، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع»، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك»**[1].

وفي رواية عن أبي سعيد: **قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»**[2].

قال ابن بطال: «أعلم ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخرة شر والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائمًا عند خاصة من الناس» أهـ.

وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك كما قال الحافظ ابن حجر.

وفي هذا الزمن كثر في المسلمين من يتشبه بالكفار من شرقيين وغربيين، فتشبه رجالنا برجالهم ونساؤنا بنسائهم وافتتنوا بهم حتى أدى الأمر ببعض الناس إلى الخروج عن الإسلام، واعتقدوا أنه لا يتم لهم تقدم وحضارة إلا بنبذ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. ومن عرف الإسلام الصحيح عرف ما وصل إليه المسلمون في القرون الأخيرة من بُعد عن تعاليم الإسلام. وانحراف عن عقيدته، فلم يبق عند بعضهم من الإسلام إلا اسمه، فقد حكموا قوانين الكفار، وابتعدوا عن شريعة الله، وليس هناك أبلغ مما وصف به النبي ﷺ في اتباعهم ومحاكاتهم للكفار فقال: **«شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتوهم»**.

قال النووي: «والمراد بالشبر والذراع، وحجر الضب: التمثيل بشدة الموافقة لهم. والمراد: الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله فقد وقع ما أخبر به ﷺ».

هذا والفتن ليس لها حصر ففتنة النساء، وفتنة المال وحب الشهوات، وحب السلطان والسيادة والزعامة كلها فتن، ربما تهلك الإنسان وتعصف به إلى مهاوي الردي، نسأل الله العافية والسلامة.

إن صاحب الجنتين ومن تشابه معه هنا وهناك يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ (سورة الروم: ٧). وكما نظر صاحب الجنتين لأخيه المؤمن على أنه لم يحسن التعامل مع الدنيا وتأدى به ذلك لاحتقاره، فكذلك الغرب في نظرته للمسلمين باستعلاء وكبرياء وغطرسة، وهي نفس نظرة فرعون وقارون ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا**

رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة المطففين: ٢٩-٣٦).

فالعبرة بمن يضحك آخرًا، لا بمن يستهزئ ويستخف أولاً دون وجه حق وكما كان صاحب الجنتين عبرة للمعتبرين، فلا نستبعد أن يحدث مع الكفرة الفجرة هنا وهناك مثل ما حدث معه، فالشرع لا يفرق بين المتساويين، وبأسه سبحانه لا يُرد من القوم المجرمين.

★ ليس في القصة تبرير للصراع الطبقي أو تأييد للمذهب الاشتراكي:

لقد كان دمار الجنتين من جزاء الكفر بالله تعالى لا لغنى صاحب الجنتين، إذ لا يحل لأحد أن يتطلع لمال الغني طالما أخذه من حله ووضعه في حقه، وقد ورد أن كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه، وحرمة هذه الأمور كحرمة يوم عرفة في شهر ذي الحجة في بلد الله الحرام، فلا يحل مال امرىء مسلم بغير طيب نفس منه

وطالما أنه أخذه من حله ووضعه في حقه فلا يجوز التطلع لهذا المال قل أو كثر وقد تكلم العلماء في مسألة وهي: هل في المال حق سوى الزكاة؟ ومن أجاز اشتراط أن يخلو بيت المال من المال، وتنزل بالمسلمين جائحة كمجاعة أو الدخول في حرب ثم الحاكم لا يستوفي أكثر من مال الزكاة إلا بعد أن يتنازل هو وحاشيته عن كل ما يملك من الحوائص المذهبة وغيرها ويستبقى مركوبه وسلاحه وما لابد له منه، وهذا قول النووي والعز بن عبد السلام وعبد الله بن الفراء وغيرهم، وهذا حالة استثناء قد تحدث، ولكن ترك البعض دينه وراءه ظهريًا، وذهب يستورد من الشيوعيين نظمهم وفلسفاتهم الاشتراكية، فكان أن تم الاستيلاء على الأموال بزعم القضاء على الرأسمالية واستلاب الأراضي بزعم القضاء على الإقطاع، مصادمًا بذلك الكتاب والسنة والعقل والفطرة، قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ** ﴾ (سورة النحل: ٧١) وقال: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ** ﴾ (سورة الفرقان: ٢٠) فالناس منهم الغني والفقير وكل

صنف مبتلى بالصنف الآخر، والواجب على الجميع أن يتقوا الله ويستقيموا على شرع الله في غناهم وفقرهم، وبزعم الانحياز إلى طبقة العمال والفلاحين في صراعهم مع الرأسمالية والإقطاع، واستئناسًا بوقوع بعض المظالم تم اغتصاب الأموال والأراضي ووزع بعضها على البعض، وصار من لا يملك يُعطى من لا يستحق، وتأججت نيران الفتنة بين طبقات الشعب.

إن نصرة المظلومين والمسحوقين تكون بإقامة شرع الله، ورد الحقوق لأصحابها دون جور أو شطط لا بمصادمة غريزة حب التملك وإفقار الأغنياء وتعميم الاتهام وتخريب البلاد والعباد بظلم أشنع وأشد ولذلك لا تستغرب فشل النظم الاشتراكية وليس فقط المزارع الجماعية التي أقامتها الشيوعية.

إن الواجب علينا أن نبدأ ونسارع برد الأموال والأراضي لأصحابها ولا نكتفي بدفع التعويضات الهزيلة لبعض من سميناهم إقطاعيين ورأسماليين، إذ الظلم ظلمات وما هو حرام بالنسبة للأفراد حرام بالنسبة للدول والجماعات.

★ الإنكار على صاحب الجنتين لم يكن لغناه ولكن لكفره:

لقد كان غنى صاحب الجنتين سببًا في بطره وطغيانه ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ (سورة العلق: ٦-٧) ولذلك قال لأخيه: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (سورة الكهف: ٣٤) قال سبحانه: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ (سورة الكهف: ٣٥-٣٦) ولذلك لما راجعه أخوه المؤمن قال له: ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ (سورة الكهف: ٣٧).

الفلوس من شأنها أن تغري النفوس وخصوصًا إذا ضعف فينا وازع الإيمان، وقد بين سبحانه أنها فتنة: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة التغابن: ١٥).

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»**.

والإنسان يوم القيامة يُسأل عن ماله من أين أخذه،

وفيما أنفقه؟ وهل أخذه من حله ووضعه في حقه؟ أم أن الحلال عنده ما وصلت إليه يده!!

ومن رحمة الله بعباده، أن أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ (سورة المائدة:٣) والإسلام هو دين الوسطية والعدل والاعتدال في كل أمر ومعنى، ومن جملة ذلك، وسطيته بين الإشتراكية والرأسمالية، فلم يأمر بإلغاء الملكية وتأميم الممتلكات ومصادرة الحقوق ومصادمة الفطرة بإلغاء الإرث والهبة بدعوى المساواة وفرض الضرائب والتصاعدية والتركات... إلى غير ذلك مما هو موجود في النظام الإشتراكي، ولا هو أيضًا بالذي أطلق الحبل على الغارب، ونادى بعلمانية الدولة وفصل الدين عن الحياة... كما هو الحال في النظام الرأسمالي المبني على الاستغلال والاستعباد، والذي قالوا فيه: «إن التنظيم متروك للإنسان» فالإسلام دين ودولة، وعقيدة وشريعة ودنيا وآخرة ولابد من الرجوع في ذلك كله لكتاب الله ولسنة نبيه ﷺ ،

ونحن لا نقبل الثنائيات التي ينادي بها البعض، فمن لم يكن اشتراكيًا قالوا له: إذن أنت رأسمالي، ومن لم يكن ديمقراطيًا، قالوا له: إذن أنت ديكتاتوري، وكأن هؤلاء أسقطوا الإسلام من حساباتهم!! فالإسلام نظام مستقل يرفض هذا العفن، ويرفض أيضًا هذا التدليس وهذا التزييف الذي يصنعه البعض حين ينادي بالاشتراكية الإسلامية أو الديمقراطية الإسلامية، ففي ذلك تحبيب للنفوس في هذه الأنظمة الوضعية الوافدة والمستوردة، وإضفاء صفة الشرعية عليها، ويجب أن نعلم أن كل نظام له عقيدة وأن النظام لا يؤخذ إلا مع عقيدته لضمان حسن التطبيق وتحقيق معنى الإخلاص والولاء، والمسلم من شأنه أن يرتبط بالمبادىء وبما جاء في الكتاب والسنة ويطيع الأشخاص ما أطاعوا الله ورسوله ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران: ٨٥)، ويقال لهذا الفريق الذي ينادي بأخذ النظام الاقتصادي الماركسي مثلاً من أبناء جلدتنا وممن يتكلم بلساننا:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (سورة البقرة: ٨٥)، فالإسلام أقدم من الاشتراكية والرأسمالية، الفرق بينه وبين هذه النظم في المنشأ والطريق والغاية، ولا ندري كيف سولت لهم أنفسهم أن يقادوا إلى مبادىء لا يعرفون حقيقتها لأنها ليست حقيقة؟! وكيف جهلوا دين ربهم - إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر -؟!

ومن المعلوم أن النبي ﷺ ما انتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن بين لنا وأعطانا من كل شيء علمًا وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد عملت الأمة جيلاً بعد جيل بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، في سياستها واقتصادها واجتماعها وأخلاقها فسعدت وملأت الدنيا عدلاً ونورًا، وما أصابتها المذلة والمهانة إلا بعد أن تنكبت الصراط وخالفت الطريق وارتمت في أحضان الشرق تارة وفي أحضان الغرب تارة أخرى، تاركة دينها وراءها ظهريًا، وصدق عمر في قوله لأبي عبيدة رضي الله عنهما: **«إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بهذا الدين، فمهما نطلب العز في غيره أذلنا الله»**،

لا ندري ما الذي انبهروا به في حضارة القلق المفلسة عند الغرب، فالحق الذي عندهم يلزمنا والباطل الذي معهم نحن في غنى عنه والحق مقبول من كل من جاء به، والعلوم النافعة تؤخذ فمن أفلح فيها، والحضارة التي نحرص عليها هي التي تقوم على منهج العبودية والاستقامة على الكتاب والسنة ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (سورة الإسراء:٩)، ثم ألم يروا هزيمة الشيوعية وانحدارها وفشلها وسوء عاقبتها، وانظروا إلى حطام المزارع الجماعية في روسيا وما الذي وصل إليه حال اليمن السعيد وليبيا الشقيقة وكل البلدان التي طبقت النظام الاشتراكي من خراب ودمار، إن الاشتراكية تعني اصطلاحًا معينًا، فقد أطلقها أصحابها على نظام اقتصادي يقوم على إدعاء المساواة، والماركسية تعتبر مصدرًا رئيسيًا من مصادر الفكر الاشتراكي والعرب لم تعرف الاشتراكية لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وباختصار شديد فهذا النظام تحكم في الحكم وفي وسائل الإنتاج، مساواة في الفقر، وقيد وإكراه وفقدان عنصر الاختيار وحد من النشاط

الاقتصادي، انقلاب وثورات واستبداد مطلق يؤدي بدوره إلى قتل الحريات.

★ غصب الأرض لتوزيعها أو لبناء مسجد عليها وحكم ذلك:

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين»** ذكر البغوي أنه يخسف به الأرض فتصير البقعة في عنقه كالطوق، وروى البخاري: **«من أخذ من الأرض شبرًا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»**.

وروى مسلم: **«لا يأخذ أحد شبرًا من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة»**.

وروى أحمد والطبراني: **«من أخذ أرضًا بغير حقها كلفه أن يحمل ترابها إلى المحشر»**.

وروى أحمد والطبراني في الكبير عن ابن مسعود: **قلت: يا رسول الله أي ظلم أظلم؟، فقال: «ذراع من الأرض**

ينقصها المرء المسلم من حق أخيه فليس حصاة من الأرض يأخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعر الأرض، ولا يعلم قعرها إلا الله الذي خلقها».

وروى الطبراني: **«من غصب رجلاً أرضًا ظلمًا لقى الله وهو عليه غضبان».**

وروى الطبراني في الكبير والصغير: **«من أخذ من طريق المسلمين شبراً جاء يوم القيامة بحمله من سبع أرضين».**

وقد اعتبر البغوي وغيره في كون الغصب كبيرة أن يكون المال المغصوب ربع دينار، وقال الحليمي: إن كان شيئًا تافهًا فصغيرة إلا أن يكون صاحبه لا غنى به عنه فكبيرة، وذكر العز بن عبد السلام أنهم أجمعوا على أن غصب الحبة وسرقتها كبيرة، يوافقه قول القرطبي أجمع أهل السنة على أن من أكل مالاً حرامًا، ولو ما يصدق عليه اسم أكل فسق. ا.هـ.

ولا فرق في كون الغصب كبيرة بين الأرض وغيرها

من الأمـوال، ويدخل في ذلك تغـيير علامـات الأراضي وحدودها فيـوسع أرضه على حساب جـاره وهو المشار إليه بقوله : **«لعن الله من غير منار الأرض»**[(١)] .

ومن هذا تعلم حرمة غصب أراضي الآخرين بزعم وضع اليد وحرمـة الإستيلاء على أموال الناس كمـا لا يجوز أيضًا اقتطاع جزء من طريق المسلمين لخاصة نفسه دون وجه حق أو بناء مسجـد يسد به الطريق عليهم، فلابد من نيـة وصحة أو إخلاص ومتابعة ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ (سورة الكهف: ١١٠) ولا تصح الصلاة في الأرض المغصوبة كما قال الإمام أحمد وغيره.

★ «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» كنز فاحرص عليه:

لما سـمع المؤمنُ الكافر يقـول: ﴿ **مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا** ﴾ (سورة الكهف: ٣٥). رد عليه على جهـة التوبيخ وقال: ﴿ **وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** ﴾ (سورة الكهف: ٣٩). فما اجـتمع لك من المال فهو بـقدرة الله وقوته

(١) رواه مسلم.

لا بقدرتك وقوتك، ولو شاء لنزع البركة منه فلم يجتمع إذ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله فلا تغير من حال إلى حال إلا بفضل الله.

قال مالك: ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول هذا: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

وقال ابن وهب قال لي حفص بن ميسرة: رأيت على باب وهب بن منبه مكتوبًا: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي هريرة: **«ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة** - أو قال: **كنز من كنوز الجنة** - **قلت: بلى يا رسول الله، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله إذا قالها العبد قال الله عزّ وجلّ: أسلم عبدي واستسلم»**[1].

وروي أنه من دخل منزله أو خرج منه فقال: باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله تنافرت عنه الشياطين من بين يديه، وأنزل الله تعالى عليه البركات، وقالت عائشة: «إذا

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى وفيه: لا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

خرج الرجل من منزله وقال: باسم الله، قال الملك: هُديت، وإذا قال: ما شاء الله، قال الملك: كفيت، وإذا قال: لا قوة إلا بالله، قال الملك: وُقيت»[١] .

وقال البعض: ما من أحد قال ما شاء الله كان فأصابه شيء إلا رضى به.

وروي أن من قال أربعًا أمن من أربع: من قال هذه أمن من العين «ما شاء الله لا قوة إلا بالله»، ومن قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» أمن من كيد الشيطان، ومن قال: «وأفوض أمري إلى الله» أمن مكر الناس، ومن قال: «لا إله إلا أنت سبحانك؛ إني كنت من الظالمين» أمن من الغم، فأحرص على الإكثار من ذكر الله ولا تغفل، فقد حذرك من مثل هذا النسيان المريب، وعاب البعض من خلقه فقال سبحانه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾

(سورة الحشر: ١٩).

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أنس ﷺ، وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ.

★ فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها، وفضل الفقر:

أنفق المؤمن ماله في سبيل الله، فغدا وليس عنده شيء، وخرج يعمل بقوته، وما دفعه لذلك إلا زهده في الدنيا وحرصه على التجارة الرابحة مع الله، وقد وردت النصوص تدل على فضل الزهد في الدنيا وتحث على التقلل منها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة يونس: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾

(سورة الكهف: ٤٥-٤٦)

وقال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

(سورة الحديد: ٢٠)

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾

(سورة آل عمران: ١٤).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (سورة فاطر: ٥).

وقال تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ (سورة التكاثر: ١-٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ



الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٤)، والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

■ **وأما الأحاديث فأكثر من أن تحصر**

■ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[١].

■ وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اللَّهم لا عيش إلا عيش الآخرة**»[٢].

■ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله، يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل**

---

(١) رواه مسلم في كتاب الرقاق (باب أكثر أهل الجنة الفقراء).

(٢) رواه البخاري في الرقاق والجهاد (باب التحريض على القتال) ومناقب الأنصار والمغازي، ومسلم في الجهاد (باب غزوة الأحزاب وهي الخندق).

رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[١].

▪ وعن المستورد بن شداد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما الدنيا في الآخرة إلا مثل: ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع»**[٢].

▪ وعن جابر ﵁: أن رسول الله ﷺ **مر بالسوق والناس كنفيه، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟»، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ ثم قال: «أتحبون أنه لكم؟»، قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً. إنه أسك فكيف وهو ميت! فقال: «فوالله، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»** (رواه مسلم). قوله: **«كنفيه»**: أي عن جانبيه. و**«الأسك»**: الصغير الأذن[٣].

---

(١) رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار (باب صبغ أنعم الدنيا في النار).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة).

(٣) رواه مسلم في أول كتاب الزهد والرقائق.



▪وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة بالمدينة، فاستقبلنا أحد، فقال: «يا أبا ذر»، قلت: لبيك يا رسول الله، فقال: «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا، تمضي على ثلاثة أيام وعندي منه دينار إلا شيء أرصده لدَين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا» عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، ثم سار، فقال: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا» عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، «وقليل ما هم»، ثم قال لي: «مكانك، لا تبرح حتى اتيك» ، ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى، فسمعت صوتًا قد ارتفع، فتخوفت أن يكون أحد عرض للنبي ﷺ، فأردت أن آتيه، فذكرت قوله: «لا تبرح حتى آتيك»، فلم أبرح حتى أتاني، فقلت: لقد سمعت صوتًا تخوفت منه، فذكرت له، فقال: «وهل سمعته؟» ، قلت: نعم، قال: «ذاك جبريل أتاني، فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة» ، قلت: وإن زنى وإن سرق؟!، قال: «وإن زنى وإن سرق»[1] .

(١) رواه البخاري في الرقاق (باب المكثرون هم المقلون) و(باب ما أحب أن لي مثل أحد ذهبًا) والاستقراض والاستئذان، ومسلم في الزكاة (باب الترغيب في الصدقة).

■ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»(١).

■ وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطى رضى، وإن لم يُعط لم يرض»(٢).

■ وعنه رضي الله عنه قال: «لقد رأيت سبعين من أهل الصفة، مامنهم رجل عليه رداء: إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته»(٣).

■ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»(٤).

---

(١) متفق عليه وهذا لفظ مسلم.
(٢) رواه البخاري في الجهاد (باب الحراسة) وفي الرقاق.
(٣) رواه البخاري في المساجد (باب نوم الرجال في المسجد).
(٤) رواه البخاري في الرقاق (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا .. إلخ).



قالوا في شرح هذا الحديث: معناه: لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله. وبالله التوفيق.

▪ عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: **جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس. فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»** (رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنه)[١].

▪ وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: ذكر عمر ابن الخطاب ﷺ ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: **«لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي، ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه»**[٢] (رواه مسلم).

---

[١] رواه ابن ماجه في الزهد، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير، والحاكم في الرقائق من مستدركه.

[٢] رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق.

(الدقل): بفتح الدال المهملة والقاف: رديء التمر.

▪ وعن عائشة ﵂ قالت: **«توفى رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي، فكلته ففني»**[(١)] (متفق عليه).

قولها (شطر شعير): أي شيء من شعير، كذا فسره الترمذي.

▪ وعن عمرو بن الحارث أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ﵄ قال: **«ما ترك رسول لله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهمًا ولا عبداً ولا أمة ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة»**[(٢)].

▪ وعن سهل بن سعد الساعدي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»**[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته)، والرقائق (باب فضل الفقر)، ومسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق.

(٢) رواه البخاري في الوصايا (باب الوصايا)، والجهاد (باب بغلة النبي ﷺ البيضاء، وغيره)، والمغازي (باب مرض النبي ﷺ ووفاته).

(٣) رواه الترمذي في الزهد (باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عزَّ وجلَّ) رقم (٢٣٢١).



■وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا»**[(١)].

■عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا»**[(٢)].

■وعن عبد الله بن الشخير «بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين» رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ قال: **«يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت!؟»**[(٣)].

■وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا**

---

(١)رواه الترمذي في الزهد (باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عزَّ وجلَّ) رقم (٢٣٢٣).

(٢)رواه الترمذي في الزهد (باب لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا) رقم (٢٣٢٩).

(٣)رواه مسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق.

لك وطاء. فقال: «مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[١] .

▪ وعن ابن عباس وعمران بن الحصين رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»**[٢] .

▪ وعن أسامه بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار»**[٣] .

«والجد»: الحظ والغنى.

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (باب ما أنا في الدنيا إلا كراكب) رقم (٢٣٧٨).
(٢) رواه البخاري في بدء الخلق (باب ما جاء في صفة الجنة) وفي النكاح والرقاق، ومسلم في كتاب الرقاق (باب أكثر أهل الجنة الفقراء).
(٣) رواه البخاري في النكاح (باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها إلا بإذنه) والرقاق، ومسلم في أول كتاب الرقاق (باب أكثر أهل الجنة الفقراء).

⋆ فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات:

وجد المؤمن شدة وعانى من خشونة العيش فصبر واحتسب، وهذا الحال لا يخلو من فضل وأجر دلت عليه نصوص الشريعة.

قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (سورة مريم: ٥٩-٦٠)، وقال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (سورة القصص: ٧٩-٨٠)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (سورة التكاثر: ٨)، وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (سورة الإسراء: ١٨). والآيات كثيرة معلومة.

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: «**والله يا ابن أختي، إن كنا ننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار»، قلت: يا خالة، فما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منايح، وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا»**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟»، قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «وأنا والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوما»، فقاما معه فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً، فقال رسول الله ﷺ: «أين فلان»، قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا. وأخذ**

(١) رواه البخاري في فاتحة كتاب الهبة وفي الرقاق (باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه) ومسلم في أوائل كتاب الزهد والرقاق.

المدية، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب»، فذبح لهم. فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده، لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» [(١)].

قولها: (**يستعذب**): أي يطلب الماء العذب وهو الطيب. و(**العذق**): بكسر العين وإسكان الذال المعجمة، وهو الكباسة وهي الغصن. و(**المدية**): بضم الميم وكسرها، هي السكين. و(**الحلوب**): ذات اللبن. والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لا سؤال توبيخ وتعذيب. والله أعلم. وهذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان.

وعن خالد بن عمر العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميرًا على البصرة ـ فحمد الله ـ وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم، وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها

(١) رواه مسلم في كتاب الأشربة (باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك).

صاحبها! وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يُلقى من شفير جهنم، فيهوى فيها سبعين عامًا لا يدرك لها قعرًا! والله لتملأن! أفعجبتم؟ ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا فالتقطت بردة، فشققها بيني وبين سعد بن مالك، فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرًا على مَصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا، وعند الله صغيرًا[1].

قوله (آذنت): أي أعلمت. وقوله (بصرم): أي بانقطاعها وفنائها. و(وولت حذاء): أي سريعة. و(الصبابة): البقية اليسيرة. وقوله (يتصابها): أي يجمعها. و(الكظيظ): الكثير الممتلئ. وقوله (قرحت): أي صارت فيها قروح.

---

(١) رواه مسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: أخرجت لنا عائشة ﷺ كساء وإزارًا غليظًا. قالت: «**قُبض رسول الله ﷺ في هذين**»[(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: **والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر بي النبي ﷺ فتبسم حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: «أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق»، ومضى فاتبعته، فدخل فاستأذنت فأذن لي فدخلت، فوجد لبنًا في قدح فقال: «من أين هذا اللبن؟»، قالوا: أهداه لك فلان - أو فلانة - قال: «أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي»، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية**

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (باب ما ذكر من ورع النبي ﷺ وعصاه وسيفه) واللباس (باب الأكسية والخمائص) ومسلم في اللباس (باب التواضع في اللباس).

أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها. فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ بد. فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «خذ فأعطهم»، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ، وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم، فقال: «أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت»، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب»، فقعدت فشربت. فقال: «اشرب»، فشربت، فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكًا، قال: «فأرني»، فأعطيته القدح، فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة[(١)] .

---

(١) رواه البخاري في الرقائق (باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه).

وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ قال: «**لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ مغشيًا علي، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع**»(١).

وعن عائشة ﵂ قال: «**توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير**»(٢).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: «**لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم: منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته**»(٣).

وعن ابن عمر ﵄ قال: **كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار فسلم عليه، ثم أدبر الأنصاري، فقال رسول**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام (باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم وما أجمع عليه الحرمان).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد (باب ما قيل في درع النبي ﷺ والمغازي)، ومسلم في البيوع (باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر) بلفظ آخر.

(٣) رواه البخاري في أبواب المساجد (باب نوم الرجال في المساجد).

الله ﷺ: «يا أخا الأنصار، كيف أخي سعد بن عبادة؟»، فقال: صالح، فقال رسول الله ﷺ: «من يعوده منكم؟»، فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص، نمشي في تلك السباخ حتى جئناه، فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه [(١)] .

وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» [(٢)] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لقد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنعه الله بما آتاه» [(٣)] .

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان

---

(١) رواه مسلم في الجنائز (باب عيادة المرضى).
(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد (باب من بات آمنًا في سريعة) رقم (٢٣٤٧).
(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة (باب في الكفاف والقناعة).

إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة ـ وهم أصحاب الصفة ـ حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين! فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال: «**لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة**»(١).

(**الخصاصة**): الفاقة والجوع الشديد.

وعن أبي كريمة المقداد بن معديكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه. بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(٢). (**أكلات**): أي لقم.

وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي رضي الله عنه قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يومًا عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تسمعون؟ ألا تسمعون؟ إن البذاذة من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان**» يعني: التقحل(٣) (رواه أبو داود).

---

(١)رواه الترمذي في الزهد (باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ).
(٢)رواه الترمذي في أبواب الزهد (باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل) (٢٣٨١).
(٣)رواه أبو داود في أول كتاب الترجل.

(البذاذة): بالباء الموحدة والذالين المعجمتين، وهي رثاثة الهيئة وترك فاخر اللباس، وأما «التقحل» فبالقاف والحاء، قال أهل اللغة: المتقحل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه.

وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله ﵄ قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة ﵁ نتلقى عيرًا لقريش، وزودنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة، فقيل: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر، فقال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا، ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقطع منه

الفدَرَ كالثـور أو قدْر الثور، فلقد أخذ منا أبو عـبيدة ثلاثة عشـر رجلاً فـأقعـدهم في وقب عينه، وأخـذ ضلعـًا من أضلاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعـير معنا، فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال: «**هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟**»، فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله[1].

(**الجراب**): وعاء من جلد مـعروف، وهو بكسـر الجيم وفـتحـها، والكسـر أفصح. قـوله (**نمصـهـا**) بفتح الميم. و(**الخبط**): ورق شجـر معـروف تأكله الإبل. و(**الكثيب**): التل من الرمل. و(**الوقب**): بفـتح الواو وإسكان القـاف وبعدها باء موحـدة، وهو نقرة العين. و(**القلال**): الجرار. و(**الفدر**): بكسر الفاء وفتح الدال، القطع. و(**رحل البعير**): بتخفيف الحاء، أي جعل عليه الرحل. و(**الوشائق**): بالشين المعجمة والقاف، اللحم الذي اقتطع ليقدد منه، والله أعلم.

---

(1) رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (باب إباحة ميتة البحر).

وعن جابر رضي الله عنه قال: إنا كنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقال: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر. ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبًا أهيل أو أهيم، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت. فقلت لأمرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا، ما في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال: «كم هو؟»، فذكرت له، فقال: «كثير طيب، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي»، فقال: «قوموا»، فقام المهاجرون والأنصار، فدخلت عليها فقلت: ويحك، قد جاء النبي ﷺ والمهاجرون ومن معهم. قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، قال: «ادخلوا ولا تضاغطوا»، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة، والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا

ويقى منه، فقال: «كُلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة» (متفق عليه).

وفي رواية قال جابر ﷺ: **لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصًا، فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت إلى جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه، فجئت فساررته فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعًا من شعير، فتعال أنت ونفر معك، فصاح رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سؤرًا فحيهلا بكم»، فقال النبي ﷺ: «لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتي أجيء»، فجئت وجاء النبي ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت عجينًا فبسق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك، ثم قال: «ادعى خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها»، وهم ألف، فأقسم بالله**

لأكلوا حتى تركوا وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو[(١)].

قوله «**عرضت كُدية**»: بضم الكاف وإسكان الدال وبالياء المثناه تحت، وهي قطعة غليظة صلبة من الأرض لا يعمل فيها الفأس. و«**الكثيب**»: أصله تل الرمل، والمراد هنا صارت ترابًا ناعمًا، وهو معنى «أهيل». و«**الأثافي**»: الأحجار التي تكون عليها القدر. و«**تضاغطوا**»: تزاحموا. و«**المجاعة**»: الجوع، وهو بفتح الميم. و«**الخمص**»: بفتح الخاء المعجمة والميم: الجوع. و«**انكفأت**»: انقلبت ورجعت. و«**البهيمة**»: بضم الباء تصغير بهمة، وهي العناق بفتح العين. و«**الداجن**»: هي التي ألفت البيت. و«**السؤر**»: الطعام الذي يدعى الناس إليه، وهو بالفارسية. و«**حيهلا**»: أي تعالوا. وقولها: «**بك وبك**»: أي خاصمته وسبته، لأنها أعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم، فاستحيت وخفي عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه

---

(١) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الخندق)، ومسلم في كتاب الأشربة (باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك).

المعجـزة الظاهرة والآية الباهرة. و«بسق»: أي بصق، ويقال أيضًا: بزق ـ ثلاث لغات ـ. و«عمد»: بفتح الميم، أي قصد. و«اقدحي»: أي اغرفي. و«المقدحة»: المغرفة. و«تغط»: أي لغليانها صوت، والله أعلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: **قال أبو طلحة لأم سليم قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخذت خمارًا لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟»، فقلت: نعم، فقال: «ألطعام؟»، فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا»، فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم: قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم؟ فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ: «هلمي، ما**



عندك يا أم سليم»، فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ، ففت وعصرت عليه أم سليم عكة فآدمته، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، حتى أكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون (متفق عليه)، وفي رواية: فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع، ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها. وفي رواية: فأكلوا عشرة عشرة، حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت، وتركوا سؤراً. وفي رواية: ثم أفضلوا ما بلغوا جيرانهم.

وفي رواية عن أنس قال: جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه وقد عصب بطنه بعصابة، فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع، فذهبت إلى أبي طلحة ـ وهو زوج أم سليم (بنت ملحان)، فقلت: يا أبتاه، قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصابة،

فسألت بعض أصحابه، فقالوا: من الجوع. فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء؟ قالت: نعم عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه، وإن جاء آخر معه قل عنهم[1].

★ **القناعة والعفاف والاقتصاد:** عرض المؤمن نفسه على شريكه ليعمل عنده، فقال له شريكه الكافر: أخذت مثل ما أخذت وهذه حالك وهذه حالي، أخبرني عما فعلت، فقال له: أقرضته ربي فسحب يده من يده ثم قال: أئنك لمن المصدقين، فما تزعزع المؤمن وما اهتزت ثقته عند الله، وقد وردت النصوص تدل على فضل القناعة والعفاف وإليك بعضها:

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ (سورة هود:٦)، وقال تعالى: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ**

(١) رواه البخاري في الأنبياء (باب علامات النبوة في الإسلام) وفي المساجد والأطعمة والإيمان والنذور، ومسلم في الأشربة (باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك).

مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (سورة البقرة:٢٧٣)، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (سورة الفرقان:٦٧)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ (سورة الذاريات:٥٦-٥٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس**» (متفق عليه).

«**العرض**»: بفتح العين والراء، هو المال[1].

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: **سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضر حلو: فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى». قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب الغني غني النفس) ومسلم في الزكاة (باب ليس الغني عن كثرة العرض).

ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء، فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي[(١)].

«**يرزأ**»: أي لم يأخذ من أحد شيئًا، وأصل الرزء: النقصان: أي لم ينقص أحدًا بالأخذ منه. و«**إشراف النفس**»: تطلعها وطمعها بالشيء. و«**سخاوة النفس**»: هي عدم الإشراف إلى الشيء، والطمع فيه. والمبالاة به، والشره.

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله**» (متفق عليه)، وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم أخصر[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في الوصايا والزكاة (باب الاستعفاف عن المسألة)، والرقاق والخمس، ومسلم في الزكاة (باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى).

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة (باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى)، ومسلم في الزكاة (باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى).

وعن أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا تلحفوا في المسألة، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا فتخرج له مسألته مني شيئًا وأنا له كاره، فيبارك له فيما أعطيته»**[(١)].

وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: **كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟»، وكنا حديثي عهد ببيعة، قلنا: قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟»، فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس وتطيعوا الله»، وأسر كلمة خفيفة: «ولا تسألوا الناس شيئًا». فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً يناوله إياه**[(٢)].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم»**[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة (باب النهي عن المسألة).
(٢) رواه مسلم في الزكاة (باب كراهة المسألة للناس).
(٣) رواه البخاري في كتاب الزكاة (باب من سأل الناس تكثراً)، ومسلم في كتاب الزكاة (باب كراهة المسألة للناس).



«المزعة»: بضم الميم، وإسكان الزاي، وبالعين المهملة: القطعة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر»**[1].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من تكفل لي ألا يسأل الناس شيئاً، وأتكفل له بالجنة؟»، فقلت: أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً**[2].

وعن أبي بشر قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال: تحملت حمالة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل فيها فقال: **«أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها»**، ثم قال: **«يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة، فحلت له المسألة حتى يصيبها، ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش،** ـ أو قال: **سداداً**

---

[1] أخرجه الترمذي في كتاب الزهد (باب ما جاء في الهم في الدنيا) رقم (٢٣٢٧)، وأبو داود في كتاب الزكاة (باب الاستعفاف).

[2] رواه أبو داود في كتاب الزكاة (باب كراهية المسألة).

من عيش ـ ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجي من قومه لقد أصابت فلانًا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش ـ أو قال: سدادًا من عيش ـ فما سواهن من المسألة، يا قبيصة، سحت يأكلها صاحبها سحتًا»[1].

«الحمالة»: أن يقع قتال ونحوه بين فريقين فيصلح إنسان بينهم على مال، يتحمله ويلتزمه على نفسه. و**«الجائحة»**: الآفة تصيب مال الإنسان. و**«القوام»**: هو ما يقوم به أمر الإنسان من مال ونحوه. و**«السداد»**: ما يسد حاجة المعوز ويكفيه. و**«الفاقة»**: الفقر. و**«الحجي»**: العقل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ليس المسكين الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»**[2].

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (باب من تحل له المسألة).

(٢) رواه البخاري في الزكاة (باب لا يسألون الناس إلحافًا) وفي التفسير، ومسلم في الزكاة (باب المسكين الذي لا يجد غنى . . .).

★ الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء:

لقد طلب المؤمن عملاً يتكسب منه، وهذا مما لا حرج فيه لورود النصوص بذلك.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (سورة الجمعة: ١٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه»** (١).

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«كان زكريا عليه السلام نجاراً»** (٢).

وعن المقداد بن معديكرب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ما أكل أحد طعامًا قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»** (٣).

---

(١) رواه البخاري في الزكاة (باب الاستعفاف عن المسألة) و(باب لا يسألون الناس إلحافًا)، ومسلم في الزكاة (باب كراهة المسألة للناس) وفي البيوع والشرب.
(٢) رواه مسلم في أحاديث الأنبياء من كتاب الفضائل (باب من فضائل زكريا عليه السلام).
(٣) رواه البخاري في أوائل البيوع (باب كسب الرجل وعمله بيده).

★ الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى:

الكرم والجود من الأخلاق الفاضلة التي يحبها الله، وهي صفات وجدت بوضوح عند المؤمن فقد أنفق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى وإليك بعض النصوص التي تدل على فضيلة هذه الخصال.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ** ﴾ (سورة سبأ:٣٩)، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ (سورة البقرة:٢٧٢)، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ (سورة البقرة:٢٧٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**» (متفق عليه)، ومعناه: ألا يغبط أحد إلا على إحدى هاتين الخصلتين[1].

---

(١) رواه البخاري في العلم (باب الاغتباط في العلم والحكمة) والزكاة وغيرهما، ومسلم في المسافرين من كتاب الصلاة (باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**» **قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه. قال: «فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر»** (١).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» (٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «**ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط، فقال: لا**» (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفًا**» (٤).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أنفق يا**

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (باب ما قدم من مال وارثه فهو له).

(٢) رواه البخاري في الأدب (باب طيب الكلام) والزكاة وغيرها، ومسلم في الزكاة (باب الحث على الصدقة ولو بشق ثمرة).

(٣) رواه البخاري في الأدب (باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل)، ومسلم في فضائل النبي (باب ما سئل الرسول ﷺ شيئًا قط فقال: لا).

(٤) رواه البخاري في الزكاة (باب قوله تعالى: فأما من أعطى وأتقى)، ومسلم في الزكاة (باب في المنفق والممسك).



ابن آدم ينفق عليك»[١] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟، قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٢] .

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عزَّ وجلَّ»[٤] .

---

(١) رواه البخاري في التفسير (باب قوله تعالى: وكان عرشه على الماء) وفي النفقات، ومسلم في الزكاة (باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف).
(٢) رواه البخاري في الإيمان (باب إطعام الطعام) ومسلم في الإيمان (باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل).
(٣) رواه مسلم في فضائل النبي صلى الله عليه وسلم (باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط، فقال: لا).
(٤) رواه مسلم في البر والصلة (باب استحباب العفو والتواضع).

وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ـ أو كلمة نحوها ـ وأحدثكم حديثاً فاحفظوه. (قال): إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو نيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته، فوزرهما سواء**»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها: **أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما**

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر) رقم (٢٣٢٦).

بقى منها؟»، قالت: ما بقى منها إلا كتفها، قال: «بقى كلها غير كتفها»[١] (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح)، ومعناه: تصدقوا بها إلا كتفها، فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها.

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت ـ أو وفرت ـ على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكنها، فهو يوسعها فلا تتسع»**[٢].

و**«الجنة»**: الدرع. ومعناه أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله يقبلها**

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (باب فضل التصدق) رقم (٢٤٧٢).
(٢) رواه البخاري في الزكاة (باب مثل البخيل والمتصدق) واللفظ له، ومسلم في الزكاة من طرق (باب مثل المنفق والبخيل).



بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوه، حتى تكون مثل الجبل!» [1] (متفق عليه).

«الفلو»: بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: وهو المهر.

وعنه عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة: أسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه»** [2].

(١) رواه البخاري في الزكاة (باب الصدقة من كسب طيب)، ومسلم في الزكاة (باب قبول الصدقة من الكسب وتربيتها) واللفظ للبخاري.
(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق (باب الصدقة في المساكين).

«الحرة»: الأرض الملبسة حجارة سوداً. و«الشرجة»: بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وبالجيم، هي مسيل الماء.

★ النهي عن البخل والشح:

انتفع المؤمن بصدقته أحوج ما يكون إليها، بينما عاد مال المشرك وبالاً عليه، فقد بخل بماله وكان سببًا في طغيانه وقد وردت النصوص تنهي عن البخل والشح.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ (سورة الليل: ٨-١١)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة التغابن: ١٦).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»**[١].

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (باب تحريم الظلم).

★ الإيثار والمواساة:

كان أرفق بالمشرك لو ارتفع إلى مقامات الإيثار والمواساة بدلاً من اغتراره بماله وأولاده، واحتقاره لأخيه المؤمن بسبب احتياجه وقد وردت النصوص تدل على فضل الإيثار والمواساة. قال الله تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ (سورة الحشر:٩)، وقال تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ (سورة الإنسان:٨).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء.، فقال النبي ﷺ: «**من يضيف هذا الليلة؟**»، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ. وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء،

وإذا أرادوا العشاء فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فقعدوا، وأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ، فقال: **«لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»**(١).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»** (متفق عليه)(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: **«من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»**، فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل!(٣).

---

(١) رواه البخاري في المناقب (باب ويؤثرون على أنفسهم .. الآية) وفي فضائل الأنصار وفي التفسير، ومسلم في الأشربة (باب إكرام الضيف وفضل إيثاره).
(٢) رواه البخاري في الأطعمة (باب طعام الواحد يكفي الاثنين)، ومسلم في الأشربة (باب فضيلة المواساة في الطعام القليل).
(٣) رواه مسلم في اللقطة (باب استحباب المواساة بفضول المال).

★ التنافس في أمور الآخرة:

قال العلماء: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، وإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل، فالمنافسة المحمودة لا تكون في بناء القصور واقتناء الأموال وإنما فيما يثقل الميزان ويرضي الرحمن. وقد وردت في التنافس المحمود نصوص نذكر لك بعضها.

قال الله تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

(سورة المطففين: ٢٦).

وعن سهل بن سعد ﷺ: **أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ. فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟»، فقال الغلام: لا والله يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحداً، فتله رسول الله ﷺ في يده**[1].

«**تله**»: أي وضعه، وهذا الغلام هو ابن عباس ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في المظالم (باب إذا أذن له أو حلله) وفي أول الشرب وأبواب أخرى منه، ومسلم في الأشربة.

★ فضل الغني الشاكر:

وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها.

لم يختلف العلماء في أن الفقير المؤمن أفضل من الغني الكافر، وإنما تنازعوا في المفاضلة بين الفقير المؤمن والغني الشاكر والراجح أن أتقاهما لله أفضلهما عنده سبحانه، وقد وردت النصوص تبين فضل الغني الشاكر.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (سورة الليل: ٥-٧)، وقال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (سورة الليل: ١٧-٢١)، وقال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢٧١)، وقال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (سورة آل عمران: ٩٢).

والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرة معلومة.

عن أبي هريرة ﷺ: **أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم والمقيم، فقال: «وما ذاك؟»، فقالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون كما نتصدق، ويعتقون كما نعتق. فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم، إلا من صنع مثل ما صنعتم؟»قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون وتكبرون، وتحمدون دبر كل صلاة، ثلاثًا وثلاثين مرة»، فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»**[1] (متفق عليه) وهذا لفظ رواية مسلم.

★ ذكر الموت وقصر الأمل:

ما أكثر العبد من ذكر الموت إلا ورأيت خير ذلك في أقواله وأفعاله، وقد كان هذا شأن المؤمن فإذا رأى صاحبه

(١) أخرجه البخاري في الدعوات (باب الدعاء بعد الصلاة)، ومسلم في كتاب الصلاة (باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته).

المشرك قد اشترى قصورًا أو عبيدًا. . . يقول في نفسه يموت غدًا فيتركهم ويموتون فيتركونه ثم يقوم فيصلي ويتصدق بماله كما ورد في كتب التفسير وقد دلت النصوص على فضل ذكر الموت وقصر الأمل.

قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (سورة لقمان: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المنافقون: ٩-١١)، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: **«إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»** (رواه البخاري).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **خط النبي ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خططًا صغارًا إلى هذه الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله محيطًا به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض: فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»**[(١)].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا من ذكر هاذم اللذات»** يعني الموت[(٢)].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه: **كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل، قام فقال: «يا أيها الناس، اذكرو الله، جاءت الراجفة،**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب في الأمل وطوله)

(١) رواه الترمذي في الزهد (باب ما جاء في ذكر الموت) رقم (٢٣٠٨).

تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه!»، قلت: يا رسول الله، أني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت»، قلت: الربع؟، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: فالنصف؟، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: فالثلثين؟، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذن تكفى همك ويغفر له ذنبك»(١).

★ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون(٢):

الدنيا دار بلاء وامتحان، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ (سورة الفرقان: ٢٠).

ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه، فالغني ممتحن بالفقير، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه، والفقير

---

(١) رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة (باب رقم ٢٤) رقم (٢٤٥٩).
(٢) راجع كتاب (صور من الفتن).

ممتحن بالغني، عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق، كما قال الضحاك في معنى «أتصبرون» أي على الحق، وأصحاب البلايا يقولون: لِمَ لم نُعاف؟ والأعمى يقول: لِمَ لم أجعل بصيرًا؟ وهكذا صاحب كل آفة.

والرسول ﷺ المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره، وكذلك العلماء وحكام العدل، ألا ترى إلى قولهم: ﴿ لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (سورة الزخرف: ٣١).

فالفتنة أن يحسد المبتلي المعافي، ويحقر المعافي المبتلي، والصبر أن يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر، وذاك عن الضجر، ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ محذوف الجواب، يعني أم لا تصبرون فيقتضي جوابًا كما قاله المزني، وقد أخرجته الفاقة والفقر يومًا فرأى خصيًا في مراكب ومناكب، فخطر بباله شيء فسمع من يقرأ الآية: ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ فقال: بلى ربنا نصبر ونحتسب، وقد تلا ابن القاسم صاحب مالك هذه الآية حين رأى أشهب بن عبد العزيز في مملكته عابرًا عليه، ثم أجاب في نفسه بقوله: سنصبر.

وفي تفسير القرطبي: عن أبي الدرداء ﵁ أنه سمع النبي ﷺ قال: «**ويل للعالم من الجاهل، وويل للجاهل من العالم، وويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد، وويل للسلطان من الرعية، وويل للرعية من السلطان، وبعضهم لبعض فتنة وهو قوله تعالى:** ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ**﴾ (سورة الفرقان: ٢٠)».

قال ابن كثير في تفسير الآية: أي اختبرنا بعضكم ببعض وبلونا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع ممن يعصي، ولهذا قال تعالى: ﴿**أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾ أي بمن يستحق أن يوحى إليه كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ (سورة الأنعام: ١٢٤).

ومن يستحق أن يهديه الله عزَّ وجلَّ لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك، وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ**﴾ (سورة الفرقان: ٢٠).

قال: يقول الله عزَّ وجلَّ: لو شئت أن أجعل الدنيا مع

رسلي فلا يُخالفون لفعلت، ولكن قد أردت أن أبتلي العباد بهم وأبتليكم بهم.

وفي صحيح مسلم: عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: إني مبتليك ومبتلي بك»**[1].

وفي المسند عن رسول الله ﷺ: **«لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة»**[2].

وفي الصحيح: أنه عليه أفضل الصلاة والسلام خُيِّر بين أن يكون نبيًا ملكًا أو عبدًا رسولاً فاختار أن يكون عبدًا رسولاً. اهـ.

والخطاب في الآية عام في جميع الناس، وهذا هو الصحيح، وقيل: إن هذا في رؤساء المشركين وفقراء الصحابة، فإذا رأى الشريف الوضيع قد أسلم قبله أنفِ أن يُسلم فأقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه، ودليله قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ (سورة الأحقاف:١١) وهذا قول الكلبي والفراء والزجاج.

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه أحمد.

وقيل: إن هذا في أصحاب البلاء والعافية، هذا يقول: لم لم أُجعل مثله في الخلق والخُلق وفي العقل وفي العلم وفي الرزق وفي الأجل؟ وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ـ رحمه الله ـ.

وقيل: هذا احتجاج عليهم في تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مع مساواته إياهم في البشرية وصفاتها، فابتلى المرسلين بالمرسل إليهم وأنواع أذاهم على ما قال تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٦).

والمُرسل إليهم يتأذون أيضًا من المُرسل بسبب الحسد وصيرورته مكلفًا بالخدمة وبذل النفس والمال بعد أن كان رئيسًا مخدومًا. والأولى حمل الآية على الكل لأن بين الجميع قدرًا مشتركًا.

وقد كانت قصة صاحب الجنتين، صورة واضحة للفتنة والابتلاء بين الغني الكافر والفقير المؤمن الصابر، وستظل هذه الآية من سورة الفرقان ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً

أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ (سورة الفرقان: ٢٠) تتنزل كالبلسم الشافي على الإنسانية المعذبة في ضميرها المضطربة في أنظمتها، المتداعية في أخلاقها، فلابد من التدبر والتأمل في معانيها فهي كافية في عصمة البشر من الهاوية، التي ترددوا فيها نتيجة إعراضهم عن منهج ربهم عزَّ وجلَّ: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (سورة طه: ١٢٣-١٢٤).

★ القواعد الذهبية حتى لا تكون فتنة [١]:

● **أولاً ـ العقيدة:**

قوة العقيدة صمام أمان، وعصمة للنفس في مواجهة الفتن، فلا أمن ولا أمان إلا بالإيمان قال سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢).

والعقيدة: هي مسائل الإيمان وقضايا التوحيد.

---

(١) راجع كتابي (صور من الفتن) طبعة دار العقيدة.

وسنستعرض بعض جوانبها وأثر هذه الجوانب في الوقاية من الفتنة والاكتئاب.

١- القضاء والقدر:

إيمان العبد بالقضاء والقدر يجعله مطمئن القلب، هادىء البال، فالقدر هو نظام التوحيد، ومن كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيدَه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا** ﴾ (سورة الأحزاب:٣٨) تسكن النفس عندما تطالع هذه الآيات وتمتلىء القلوب رضى عن الله عزَّ وجلَّ، فهو سبحانه وتعالى بقسطه وعلمه، جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ (سورة الحديد:٢٢-٢٣) فعندما يعلم المؤمن أن المصيبة مقدرة من عند الله سبحانه وتعالى، فإنه لا يحزن على فائت، ولا يفرح فرحًا يطغيه بما آتاه، بل يسير إلى



ربه سيرًا جميلاً معتدلاً بلا إفراط أو تفريط وبلا غلو أو جفو، وبلا إسراف أو تقصير، فالنعمة لا تطغيه والبلوى لا تقنطه من رحمة الله عزَّ وجلَّ.

٢ـ الإيمان باليوم الآخر:

من علم أن المرجع والمآب إلى الله عزَّ وجلَّ، وتيقن الصراط والميزان وتطاير الصحف، وأن الأمر إما جنة وإما نار، وأن الآخرة من ذهب يبقى، وأن الدنيا من خزف يفني، وأن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وأن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، وقد اقترب للناس حسابهم، وأن الموت نهاية كل حي، وأن القبر أول منزل من منازل الآخرة، من علم ذلك هانت عليه المصيبات وخفت عنده الأحزان، وأصبحت الهموم همًا واحدًا، وهو هم الآخرة، فالإيمان باليوم الآخر تسلية المؤمنين في مواجهة شدائد الدنيا وفتنتها.

٣ـ الإيمان بالأسماء والصفات:

إن الإيمان بالأسماء والصفات من شأنه أن يثبت النفوس ويقوي العزائم ويعين على مواجهة النوائب والفتن،



فالمسلم الذي يعلم أن الله حكيم يتقبل الأحداث ويدرك أن فيها خيرًا له، حتى وإن خفيت الحكمة منها.

٤ـ مفهوم المسلم للمصائب والأحزان:

المسلم يؤمن بأن المصائب قد تكون علامة على محبة الله للعبد ففي الحديث: «**إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم**»[١] والابتلاء للمسلمين يكون على قدر إيمانهم «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل»[٢]؛ فإذا صبر واحتسب نال الأجر العظيم ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (سورة الزمر: ١٠).

ولكي تستبين قيمة العقيدة، انظر في قصة الخنساء، هذه المرأة التي بكت أخاها صخرًا وأنشدت فيه المعلقات وانتابها الجزع بسبب فراقه، هي هي عندما يموت أولادها الأربعة في معركة القادسية، ما زادت على قولها، «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

(١) رواه أحمد وصححه الألباني.
(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني.

هي امرأة هنا وهناك، وهذا أخوها وهؤلاء هم أولادها الأربعة، ومن المعلوم أن حزن المرأة على ولدها أشد من حزنها على أخيها، ولكنه الإيمان الذي يصنع الأعاجيب.

إن الحال لا يمكن أن يستقيم إلا بالإيمان بالله عزَّ وجلَّ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره.

فاللهم ارزقنا إيمانًا صادقًا ودينًا تخالط بشاشته القلوب، وتوفنا اللهم مسلمين غير خزايا ولا مفتونين.

• ثانيًا ـ التقوى والعمل الصالح:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (سورة النحل:٩٧) وهذه الحياة حياة الرضا والقناعة، ومدارها على تقوى الله والعمل الصالح، فلا يمكن أن تطيب الحياة ولا أن تسعد النفوس إذا أعرضت عن أمر خالقها ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ (سورة طه:١٢٣-١٢٤)، والمال والجاه

والسلطان والشهرة والجمال... لا يمكن أن يحقق هذه السعادة فهذا هو حكم الخالق جلَّ وعلا ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الملك: ١٤)، ولذلك كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول: «والله إننا لفي نعمة لو يعلم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف».

• ثالثاً ـ الدعاء والتسبيح والصلاة:

صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما أصاب عبداً هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً»**[1].

فإذا خفت الفتنة فاهرع إلى الصلاة والدعاء والتسبيح فهو سبحانه وتعالى الذي يجيب المضطر ويكشف الضر.

---

(١) رواه أحمد وابن حبان.

• رابعًا - تقدير أسوأ الاحتمالات والنظر إلى من هو أسوأ حالاً:

جاء خباب بن الأرت رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متوسدًا بردة في ظل الكعبة وقال له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، واللهِ ليتمنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»[(١)].

فإن أصبت في مال أو نفس أو ولد، أو رأيت نفسك مبخوس الحظ كما تقول فانظر إلى ما هو أسوأ حالاً، حتى تؤدي شكر ما أنت فيه من نعمة.

ففي الحديث: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم في متاع الدنيا، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري ومسلم.



• **خامسًا ـ الواقعية والبعد عن الخيالية:**

إن الخيالية في التعامل والتقييم، عواقبها وخيمة، ولذلك قال النبي ﷺ : «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضى منها آخر**»[٢]، فلو ركز الرجل نظره على نقائص زوجته سيتكدر هو ويكدرها، بل لا يبعد أن يطلقها، فمن الخيالية أن ينشدها دائمًا دون العشرين، لونها كذا وشعرها كذا . . . والبعض يتعامل مع من أمامه وكأنه ملك، فإذا بدرت منه الهفوة، وإنما هو بشر يصيب ويخطىء، نقبل منه إصابته ونرد عليه خطأه، فالواقعية المنضبطة بالشرع، والبعد عن الخيالية وقاية لك من الفتن.

• **سادسًا ـ تقديم حسن الظن:**

من الفتنة أن تحسد الآخرين وتحقد عليهم، وتنظر إليهم على أنهم لا يستحقون هذا المال أو الجاه أو الصحة . . . وأنك أحق بذلك منهم، فلديك من الذكاء والفهم والفطنة ما يفوقهم!! إن فتنة البعض في أن يحسن

(١) رواه مسلم.

الظن بنفسه ويسيىء الظن بالآخرين، ويحمل الأقوال والأفعال على أسوأ محاملها، فيتوهم أن فلانًا يكرهه ويُعاديه لكونه لم يُسلم أو لم يبتسم في وجهه وقد يكون السبب أنه لم يره أو كان منشغلاً مهمومًا؛ ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

• سابعًا ـ كن كالشجر يُقذف بالحجر فيلقي الثمر:

شأنك كشأن النخلة، فلا تواجه الإساءة بالإساءة، واتق الله فيمن لا يتقي الله فيك، واشغل نفسك بطاعة الله وبذكره سبحانه وتعالى، فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل فلا داعي للقيل والقال، فذكر الناس داء وذكر الله شفاء، وطن نفسك على العفو والصفح وكظم الغيظ، فأنت تتعامل مع من لا تخفى عليه خافية.

• ثامنًا ـ الأمل:

لن يغلب عسر يسرين ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (سورة الشرح: ٥-٦)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (سورة الطلاق: ٧).

وفي الحديث: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**».

فالكرب والشدة لن تدوم، بل سرعان ما تنقشع ويعقبها فرجًا وسعة، وما أكثر السنن الشرعية والكونية الدالة على ذلك، فاستصحب الأمل، ولا ينقطع رجاؤك في الله عزَّ وجلَّ ثق في وعده سبحانه وتعالى، فهو لا يضيع أهله وأولياءه ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ (سورة الطلاق: ٢-٣).

★ الحكمة في فتنة وابتلاء البعض بالبعض الآخر:

من تتبع نصوص الشريعة ونظر في الواقع سيجد أن فتنة البعض بالبعض الآخر لا تخلو من عدة فوائد، منها:

١ ـ رفع درجات المؤمنين، ومضاعفة حسناتهم وتكفير خطاياهم.

٢ ـ الفتنة تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب.

٣ ـ البلاء والفتنة كالدواء للداء.



★ انتصار المؤمن على صاحب الجنتين:

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (سورة غافر: ٥١)، وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الروم: ٤٧).

وهذا وعد من الله بنصرة عباده المؤمنين، ووعد الله لا يتخلف أبدًا، فمن أصدق من الله قيلاً وحديثًا، والنصر كما يكون بالغلبة والقهر للأعداء كما حصل لداود وسليمان وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكذلك يتحقق النصر بإهلاك المكذبين كما حدث مع قوم نوح وعاد وثمود.

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

(سورة العنكبوت: ٤٠).

وقد يكون الانتصار بانتقام الله من الكفرة بعد وفاة الأنبياء والصالحين كما حدث مع من قتل يحيى ومن حاول قتل عيسى عليهما السلام.

ثم ثبات الداعية على مبدئه وقوة حجته، وصحة برهانه هي من أعظم صور النصر، قال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ (سورة الصافات: ٩٧-٩٨)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (سورة الصافات: ١٧١-١٧٣).

بل ما يتصوره كثير من الناس هزيمة، قد يكون هو النصر الحقيقي كالقتل والسجن والطرد والأذى.

قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٩)، وقال عن صاحب يس لما قتلوه: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (سورة يس: ٢٦-٢٧)، ولو نظرت في سجن نبي الله يوسف عليه السلام لوجدته تمخض عن نصر عظيم، وكذلك المذلة التي لحقت بلال رضي الله عنه أثناء تعذيبه، انتهت إلى عز كبير، فما قام عبد الله مقام ذل إلا وأقامه الله مقام عز.

ولو تتبعنا قصة المؤمن مع صاحب الجنتين، لوجدناها انطوت على صور كثيرة من صور النصر في الدنيا والآخرة، فثبات المؤمن وحرصه على طاعة الله في عسره ويسره، وغناه وفقره، وقوة حجته وسطوع برهانه عندما قال له أخوه الكافر: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (سورة الكهف:٣٤)، رد عليه قائلاً: ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ (سورة الكهف:٣٧-٤١).

ثم انظر كيف حل الدمار والهلاك بمال الكافر، فما كاد المؤمن يفرغ من قولته إلا ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ (سورة الكهف:٤٢) وكلها من صور النصر الذي تحقق لمؤمن في الدنيا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الروم:٤٧) ثم في

الآخرة تكتمل حلقة ومعالم الانتصار بدخول المؤمن الجنة، واستقر صاحب الجنتين المشرك في نيران الجحيم.

فليس لأحد أن يستريب في وعد الله، ولا أن يتحجر واسعًا ويقصر معاني النصر على قهر الأعداء في ساحة الحرب، كما لا يليق لأحد أن يسيىء الظن بربه، فمن ظن أن الله يخذل أولياءه فقد ظن ظن السوء برب العزة جلَّ وعلا؛ ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٤).

وقد يتأخر أو يتخلف النصر لسبب أو لآخر فلا تتنازل عن عقيدتك ولا تساوم على إيمانك فالسلامة لا يعدلها شيء، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، واتهم نفسك إن اتهمت فما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وثق في وعد الله، واقرأ السنن الشرعية والكونية قراءة واعية قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ

أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّه قَرِيبٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢١٤)، وقال: ﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة العنكبوت: ١-٣)، وقال سبحانه: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (سورة العصر) تأمل هذه السورة وتدبرها فلو تدبرالناس هذه السورة لوسعتهم كما قال الإمام الشافعي رحمه الله ففيها بيان منهج النصر بسعته وشموله وتوضيح لأسبابه وطريقه.

★ لمثل هذا النعيم وهذا الفوز لا لغيره فليعمل العاملون:

إن الفوز الحقيقي، يوم ينجح العبد في الابتلاء والاختبار والامتحان، ويطمئن على خاتمته ويؤتي كتابه بيمينه فيقول: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾

(سورة الحاقة: ١٩-٢٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ هَنِيئًا ﴾ أي لا يموتون فيها، لقد بلغ من فضل الله على المؤمن أن أدخله الجنة وأنجاه من النار فقال: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (سورة الصافات: ٦٠-٦١).

أي لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون ليصيروا إليه في الآخرة، وهذا نظير ما قال له الكافر: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (سورة الكهف: ٣٤).

وقيل: يحتمل أن يكون من قول الملائكة أو هو من قول الله عزَّ وجلَّ لأهل الدنيا، أي قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزاء، ﴿ لِمِثْلِ هَذَا ﴾ والجزاء والعطاء والفضل ﴿ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (سورة الصافات: ٦١)، فليكن عملك هنا ونظرك في السماء، وعملك هنا وحساباتك حسابات أخروية، فليس دون الله منتهى وهذا هو الذي ترجوه، من وراء القول والفعل؛ ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (سورة الإنسان: ٩-١٠) فالعمل الذي يتحقق به الفوز العظيم

هو ما كان ابتغاء وجه الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ، وهو أيضًا ما تم حبًا لله وطمعًا في جنته وخوفًا من ناره ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٠-٩١) وهذا هو الذي يفرق بين المؤمن وغيره، فالكل عامل ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (سورة الإسراء: ٨٤)، وشتان بين عمل رضى الله عنه، وبين عمل شقى صاحبه به.

والكل أيضًا ساعٍ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (سورة الليل: ٤)، وسعي العباد يفترق، فمن السعي ما يوصل إلى جنات النعيم، ومنه ما يقود إلى نيران الجحيم.

والكل متحرك ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (سورة المدثر: ٣٧)، فمن تقدم إنما تقدم بطاعة الله، ومن تأخر إنما تأخر بمعصية الله، فليس منا من هو ساكن في مكانه، ولا أضر على العبد من ذنوبه ومعاصيه فهذه هي التي تفعل به الأفاعيل في الدنيا والآخرة، وتؤخره إلى وراء وراء.

والكل أيضًا مريد ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ (سورة آل عمران:١٥٢) فكن أنت من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا، فإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة قد ارتحلت مقبلة، وكما قال شداد بن أوس: اعلموا أنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه، ولن تروا من الشر إلا أسبابه، الخير بحذافيره في الجنة، والشر بحذافيره في النار، والدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ولكل دار بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا.

وقالوا: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كُتب له.

وقال مؤمن آل فرعون: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (سورة غافر:٣٩). ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (سورة لقمان:٣٣)، فضع الآخرة نصب عينك، وارتحل طلبًا لها، واحذر أن تنخدع بزخرف فان وعارية مسترجعة، واسلك سبيل قوم ركبوا سفن الآخرة،

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (سورة الذاريات: ١٧-١٨). طلبوا السلامة لأنفسهم وعلموا أن الراحة عند أول قدم يضعونها في الجنة، فهذا هو الفوز العظيم ولمثل هذا فليعمل العاملون.



الخاتمة

بدأت القصة بمشهد الجنتين ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا﴾ (سورة الكهف: ٣٢-٣٣).

فالبساتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئًا، بينما كان صاحبها جاحدًا وكافرًا ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ (سورة الكهف: ٣٥) فلم يؤد شكر ما أنعم الله به عليه، ولذلك كان كفره مؤذنًا بزوال النعمة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الأنفال: ٥٣)، ولذلك لا عجب أن أسدل ستار القصة على مشهد الجنة الخاوية على عروشها، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسفًا وندمًا ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: ٤٢)، ولم يكن ذلك منه إيمانًا برب الأرض والسماوات، ولكن حزنًا على ضياع المال، وبدليل أنه مات

وجاء مشهد صاحبه المؤمن مع إخوانه في الجنة وذلك في سورة الصافات وهو القائل: ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ (سورة الصافات: ٥١-٥٢)، ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (سورة الصافات: ٥٥) أي أن صاحب الجنتين على شركه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (سورة النساء: ٤٨).

وتأتي هذه التعقيبات القرآنية في نهاية هذه القصة ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝٤٣ هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (سورة الكهف: ٤٣-٤٤)، فلا منقذ له، وهناك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب، كقوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (سورة غافر: ٨٤)، وكقوله إخبارًا عن فرعون ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة يونس: ٩٠-٩١)، حينئذ تنكشف الحقائق ويعلم الجميع أنه سبحانه المتفرد بالولاية والقدرة فلا قوة إلا قوته، ولا نصرًا إلا نصره، وثوابه هو خير الثواب، وعاقبة الأعمال التي تكون

لله عزَّ وجلَّ حميدة رشيدة كلها خير؛ ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (سورة الكهف: ٤٤).

وأمام هذا المشهد يضرب مثلاً للحياة الدنيا كلها فإذا هي كتلك الجنة المضروبة مثلاً قصيرة قصيرة، لا بقاء لها ولا قرار.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (سورة الكهف: ٤٥)، فالماء اختلط به نبات الأرض، والنبات صار هشيمًا، فما أقصرها وما أهونها حياة، فكيف استخفت عقول البشر، وكيف صرفت الناس عن طاعة ربهم؟! وهذه هي حقيقتها سريعة الزوال والانتهاء، وقد آذنت برحيل، لا تستقر على حال، وكذلك أهلها لا يثبتون على وضع فالغني قد يصير فقيرًا، والصحيح قد يعاني السقم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (سورة الكهف: ٤٥).

ثم يأتي هذا التعقيب ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (سورة

الكهف:٤٦) أي الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم فالآخرة خير وأبقى، والدنيا متاع زائل، ولذلك فالعاقل هو الذي يقدم لنفسه الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السماوات والأرض، وهي شاملة لجميع الطاعات سواء كانت فرضًا أو نفلاً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: **«هي الصلوات الخمس»**.

وقال عثمان رضي الله عنه: **«هي: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»**.

وقد ورد ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، ولهما أحب إليَّ من الدنيا جميعًا وركعتا الفجر ليست واجبة، وليس معنى ذلك أن يترك الإنسان العمل والتكسب أو أن يسب الدهر، ويحرم الطيبات، فنحن بحاجة لأن نقيم حضارة على منهاج النبوة، وأن نعمر الدنيا بطاعة الله، وأن نقيم واجب العبودية، وأن نعلم أن الذم الوارد في النصوص، لا لزمان الدنيا ولا لمكانها، فقد جعل سبحانه ذلك ﴿ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (سورة الفرقان: ٦٢)

وإنما يقع الذم على تصرفات العباد المخالفة لشرع الله، كشأن صاحب الجنتين فقد كان ظالمًا لنفسه بينما الجنة (البستان) ﴿آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ (سورة الكهف: ٣٣) ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله؛ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (سورة الأعراف: ٣٢) ولا يليق في الوقت ذاته أن ننشغل بالدنيا عن الدين، أو أن يبيع الإنسان دينه بدنيا غيره، فلابد من مواجهة النعمة بالشكر، وإعمال الضوابط والموازين الشرعية في كل آن وحين، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (سورة الكهف: ٤٦)، وتتوالى الآيات بعد ذلك ويأتي الأمر لرسول الله ﷺ في أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وهكذا تتناسب قصة صاحب الجنتين مع المثل المضروب للحياة الدنيا مع هذا الأمر الإلهي، لتصبح هذه القصة الحقيقية الواقعية - التي لا خيال فيها - بمثابة عظة وعبرة وتقرير خير للقيم في الحياة وما بعد الحياة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعملون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصَّفحة

الموضوع الصَّفحة

تطلب مطبوعاتنا من

التوزيع في المملكة العربية السعودية: دار طيبة الخضراء مكة المكرمة ت: ٥٥٨٩٠٢٧

التوزيع في الجزائر: مجمع السيرة للكتاب والشريط الهادف

سطيف: 7 شارع الرخايف - هاتف: 66 48 83 036 - 08 51 06 062

الجزائر: 31 20 21 075 - بسكرة: أمام الضمان الاجتماعي هاتف: 56 05 44 071

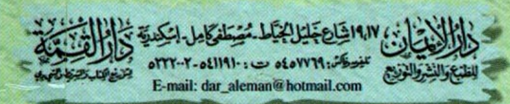
التوزيع في اليمـن: مكتبة الإمام الألباني صنعاء شارع الرباط - بجوار جولة القادسية ت: 212281

المكلا مقابل مسجد با زرعة ت: 05/316437 - جوال: 71137438

التوزيع في المغـرب: مكتبة الرسالة 56 زنقة الإمام القسطلاني - حي الأحباس - الدار البيضاء هاتف 446664

التوزيع في القاهرة: العربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر

شارع الإمام محمد عبده - أول درب الأتراك - ت: ٥١٢٠٦٢١ / ٠٠٢٠٢



Dar AL-Eman
Printing, Publishing&Distribution

0 001986 500607